الفصل الثالث

حرب عالمية

نيويورك

كانت المرحلة الثانية من الحرب الأفغانية أكثر دموية، وأكثر وحشية من المرحلة الأولى ضد السوفييت. وقد أخمد كون الأفغان يقتتلون الآن فيما بينهم مشاعر التحمس للحرب في العواصم الإمبريالية. إلا أنها لم تخفف من جاذبيتها في العالم الإسلامي الذي ازداد فيه الحماس للجهاد بهزيمة السوفييت. وإن لم يكن من شيء، فقد قويت وتنامت قوة جاذبية الحرب المقدسة. وأصبح عدد كبير من الرجال الذين قدموا لقتال السوفييت دعاة في سبيل الجهاد. وعادوا إلى أوطانهم مغمورين بنشوة النصر، وذلك بالرغم من أن مساهمة المتطوعين العرب في تحقيق النصر في الحرب كانت قليلة. فقد شاهدوا بأم أعينهم قوة الله في ساحة المعركة. قوة النبي انبعثت من جديد. في هذا المكان وفي هذا الزمان. وسعى المجاهدون إلى حث إخوانهم في الدين إلى إعادة أمجاد الفتوحات الإسلامية. وفي أقصى درجات التصور الخيالي، دعوا إلى حرب مقدسة جديدة وشاملة لإعادة تأسيس الخلافة الإسلامية - إمبراطورية إسلامية - بغض النظر عما سيتطلبه ذلك. ومن الناحية العملية، التقى الرجال الذي جاؤوا إلى بيشاور، سواء تدربوا أو قاتلوا في الحرب أم لا، بالأشخاص الذين يؤمنون بذات الأفكار من حول العالم، وليس فقط من العرب. وكانت هناك مئات من المجاهدين من شرق ووسط آسيا، ومن أمريكا الشمالية، ومن أوروبا، ومن كل مكان يوجد فيه مسلمون.

obeikan.com

وهذا يشمل كل مكان في العالم. ولا أحد يعرف الرقم الحقيقي لعدد المتطوعين في الحرب الأفغانية. وتتراوح التقديرات ما بين 25 ألفاً إلى ثلاثة أضعاف ذلك العدد في أثناء الحرب مع السوفييت. كما أن القافلة لم تتباطأ عقب اندحار السوفييت. وأصبحت الحرب، بدلاً من ذلك، كما وصفها أحد خبراء الإرهاب، أشبه ما يكون بالحزام الدوّار على خط الإنتاج، فكانت تنتج الرجال الجاهزين للمشاركة في حروب لم تبدأ بعد[1] أو، وكما تبين فيما بعد، حروب قاموا هم بإشعالها. أنشأ قدامى المجاهدين شبكة غير رسمية عملت على تجنيد، وتشجيع ودعم آخرين في جهودهم المشابهة. وثم نسج شبكة عنكبوتية حول العالم وكانت جاهزة وفي الانتظار.

ازدهرت معسكرات التدريب القائمة، وتم افتتاح المزيد منها نتيجة لقناعة زعماء الحرب والجيش وغيرها من أجهزة الدولة بالحاجة إلى الشباب المحفزين الذين يجيدون استخدام الأسلحة الخفيفة والمتفجرات. وفي ظل الحرب غير المتناهية، كانت معسكرات التدريب والمدارس الدينية وغيرها من الاحتياجات والإمدادات مزدحمة ومحمومة كسابق عهدها. ومن بين الرجال الذين قدموا بعد انتهاء الحرب ابن أخت خالد شيخ محمد، واسمه عبدالباسط عبدالكريم. وعبدالباسط هو شقيق عبدالكريم الذي كان رفيق خالد شيخ في الدراسة. ونشأ هو الآخر في ضواحي الكويت مثل خالد، وكان يصغره بثلاثة أعوام. وكان قد سافر خارج الكويت لمتابعة دراسته في كلية تقنية صغيرة في مقاطعة ويلز في بريطانيا. وبينما كان في الخارج، عادت أسرته إلى بلوشستان من الكويت[2]. وكانت أعمال الحرب – التهريب، مقايضة مبادلات العتاد العسكري – تشكل عصب الحياة في المنطقة. ولعب والد عبدالباسط وأخوته دوراً فاعلاً في دعم المقاومة الأفغانية[3]. وكغيرهم من الآلاف الذين سبقوهم، قدم عبدالباسط وأخوته إلى بيشاور أولاً أثناء إجازة

الصيف عام 1988. وبعد أن حصل على شهادة تقنية في الهندسة الإلكيترونية عام 1989، عاد عبدالباسط إلى الكويت وعمل في الحكومة الكويتية لفترة محدودة[4]. إلا أن عمله ذلك وباقي أوجه الحياة الطبيعية في الكويت أتت إلى توقف مفاجئ نتيجة للاحتلال العراقي في أغسطس/ آب عام 1990. ولا يعرف على وجه الضبط ماذا حدث لعبدالباسط في أثناء الاجتياح العراقي، إلا أنه كان في باكستان بحلول ربيع عام 1991. وفي شهر مارس/ آذار تزوج من لطيفة عبدالعزيز[5]. في تشاكيوارا، وهو حي بلوشي مكتظ في كراتشي. ودفع عبدالباسط مهراً مقداره عشرة آلاف روبية (أي ما يعادل 400 دولار أمريكي). وبعد الزفاف، عاد إلى بيشاور، حيث أمضى قرابة ستة أشهر في معسكرات التدريب وذلك بحسب ما جاء في إفادته أمام المحققين[6]. وقال أحد الرجال الذين شاركوا في معسكرات التدريب تلك بأن عبدالباسط عمل مدرساً فيها[7]. فقد كان متخصصاً بالهندسة الإليكترونية والحاسوب في الجامعة، واستخدم معلوماته لتطوير خبرته في صنع القنابل، وأصبح مشهوراً وسط المتدربين بلقب الكيماوي[8].

وإلى جانب رؤيته لأخواله هناك، جدد عبدالباسط علاقاته مع المجاهدين من جنوب شرق آسيا الذين تعرف عليهم عندما جاء لأول مرة إلى المعسكر قبل ثلاثة أعوام. وكان الهدف من معسكرات التدريب المختلفة هو تطوير خطوط إمداد غير رسمية للمجندين الجدد؛ وكما يحدث في الجامعات في الولايات المتحدة، فالطلبة الجدد يميلون دائماً إلى الالتحاق بالجامعات التي التحق بها أبناء وطنهم من قبلهم. وكانت معسكرات عبد[رب] الرسول سيّاف منذ البداية الوجهة الأساسية للمسلمين المجندين من منطقة جنوب شرق آسيا – إندونيسيا، ماليزيا، جنوب الفلبين – [9] وكوّن هؤلاء الرجال صداقات في المعسكرات فيما بينهم وبين المجاهدين الأفغان العرب استمرت لعدة عقود.

وعادت مجموعة من الفلبينيين إلى جنوب الفلبين، وأسسوا جماعة مقاومة إسلامية هناك وسموها "جماعة أبو سيّاف" على اسم الزعيم الأفغاني، وقائد جماعة أبو سيّاف هو عبدالراجاك جنجلاني، وتعرف على عبدالباسط في المعسكر، ووجه إليه الدعوة للحضور إلى جزيرة بيسلان في الفلبين للتدريب والتدريس في المعسكر التابع لجماعته[10]. قام عبدالباسط برحلته الأولى إلى الفلبين عام 1991، إلا أنه لم يكن مبهوراً بما شاهد. فقد كانت مجموعة أبو سيّاف منظمة همجية مؤلفة من الأوباش، وكان هدفها المعلن هو إقامة دولة إسلامية في جنوب الفلبين، إلا أن نشاطاتها كانت موجهة نحو أعمال إجرامية بحتة أكثر منها إسلامية. وتطورت خبرتها بشكل أساسي حول عمليات اختطاف الأجانب وتحصيل فدية من ذويهم. وكان ذلك هو الهدف النهائي من تلك العمليات. وقد ذكر عبدالباسط فيما بعد لأحد أصدقائه بأنه سيكون من الصعب عليه مساعدة تلك الجماعة؛ لأن "مصلحتهم الأساسية هي استخدام الأسلحة النارية"، وليس خبرته هو[11].

ومع نهاية العام، غادر معظم الأفغان العرب بيشاور بمن فيهم ابن لادن الذي عاد إلى المملكة العربية السعودية. وقبل أن يغادر، كان قد أسس منظمة القاعدة للتنسيق بين النشاطات الجهادية لما بعد أفغانستان. وكان قد أرسل رجاله إلى السودان لتأسيس قاعدة لمنظمته هناك[12]. ومن منزله في جدّة، حاول أن ينظم جيشاً من المسلحين لمقاتلة الحكومة الماركسية جنوب اليمن[13]. أما الذين بقوا في باكستان، فقد تغيروا تغيراً ملحوظاً.. فالدائرة التي كانت تضم أخوال عبدالباسط، خالد شيخ وزاهد شيخ محمد، تحولت مع تحول الزمن. السوفييت ذهبوا، وعزام وعابد بين الأموات. وذكر أحد أصدقاء الأخوة البلوش: "في الأعوام 1991 و1992 أصبحت أماكن إقامتهم، اجتماعاتهم، أفكارهم، سرية. وترسخ الحقد على أمريكا بين كل العرب الذين قدموا من

أفغانستان.... فكلهم كانوا يعتقدون أن أمريكا فرضت حكمها عن طريق عدم السماح بالحكم الإسلامي في أفغانستان بواسطة عملائها في باكستان؛[14] واعتقد الكثير منهم بأنهم خدعوا لخدمة المصالح الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي، فاستخدمتهم ثم طرحتهم جانباً.

وبينما عاد كثير من المجاهدين الذين تجمعوا في باكستان إلى أوطانهم، محاربين دون حرب. نشط آخرون في البحث عن حرب جديدة. فبعضهم – ومن بينهم عبدالباسط – وجد تلك الحرب – ولو مؤقتاً – في البوسنة[15]. ذهب خالد شيخ إلى البلقان عام 1992، ولكنه لم يمكث طويلاً. فقد عاد إلى باكستان، ثم، وبدعم من أحد أعضاء الأسرة الحاكمة في قطر، انتقل هو وأسرته إلى الدوحة عاصمة قطر، حيث حصل على وظيفة مهندس في وزارة الأشغال العامة للمشيخة.

عاد عبدالباسط لمدة وجيزة إلى بيشاور. ولكنه في ذلك الوقت كان قد رسم لنفسه طريقاً خاصة به، وبدأ فعلاً بالسير فيها. ولم يكن من الواضح أبداً القضية التي كان يخدمها. ونظراً إلى العشوائية في نشاطاته، ونقص الدعم الكافي منذ البداية، فيبدو، على الأرجح، أنه كان يعمل في حقل العمل الإرهابي الحر، وهو نوع جديد مستقل من الإرهاب العالمي يختلف عن الإرهاب المدعوم من الدولة. وعلى مدى السنة التالية، بدأ بوضع خطط لمهاجمة الولايات المتحدة. واتصل بعبدالحكيم مراد صديقه القديم منذ أيام الصبا، والذي كان في الولايات المتحدة يدرس الطيران. قال عبدالباسط بأنه يريد مهاجمة إسرائيل ولكنه كان يعتقد أنها هدف صعب؛ لذلك قرر مهاجمة الولايات المتحدة بدلاً منها. وطلب من مراد أن يقترح عليه بعض الأهداف اليهودية المحتملة في الولايات المتحدة. وافق مراد على التفكير في الموضوع. فيما بعد، وبعد أن أكمل مراد تدريباته، عاد إلى الخليج عام 1992، واتصل به عبدالباسط ثانية:

obeikan.com

"سألني عما إذا كنت اخترت المكان... قلت له برج التجارة العالمي. سألني لماذا، فأعطيته الأسباب. وسألته ماذا سيفعل، فأجابني بأنه تلقى تدريبات في أفغانستان. فسألته ما نوع تلك التدريبات. فأخبرني قائلاً "الشوكلاته". فسألته ماذا يعني بالشكولاته؟ فقال: ،بوووم، ففهمت وقتها أنه تلقى تدريبات على كيفية صنع المتفجرات، وقال لي بأنه قد حان الأوان للذهاب إلى الولايات المتحدة"[16].

لماذا اليهود؟ لماذا الولايات المتحدة؟ تساءل مراد:

"إنني أعمل لخدمة ديني، لأنني أشعر أن أخوتي المسلمين الفلسطينيين يعانون، والمسلمون في البوسنة يعانون، وفي كل مكان يعانون. وإذا نظرت إلى سبب تلك المعاناة، فإنك ستجد الولايات المتحدة هي السبب في ذلك. وإذا سألت أي شخص، وحتى إذا سألت الأطفال فسيقولون لك بأن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل وإن إسرائيل تقتل إخوتي المسلمين في فلسطين. الولايات المتحدة تتصرف كالإرهابي، ولكن لا أحد يرى ذلك. أعني دعم إسرائيل بالمال والسلاح. وهذا يعتبر عملاً من أعمال الإرهاب"[17].

وبتحضيرات تزيد على ما اقترحه مراد من أن أعداداً كبيرة من اليهود تعمل في البرجين التوأمين لمركز التجارة العالمي في نيويورك، توجه عبدالباسط إلى أحد وكلاء السفر في بيشاور لشراء تذكرتي سفر درجة أولى ذهاباً من بيشاور إلى مطار كيندي في نيويورك مروراً بكراتشي، بكلفة 2500 دولار، تذكرة له شخصياً والأخرى لشخص فلسطيني سيئ الحظ اسمه أحمد محمد عجاج[18]. وكان عجاج هاجر إلى الولايات المتحدة وأقام في مدينة هيوستن في ولاية تكساس، وتقدم بطلب لجوء سياسي مدعياً أنه كان يخضع لاضطهاد الجيش الإسرائيلي في الضفة الغربية. وبينما كان ينتظر البت في طلبه، عمل كبائع للساعات، وفي خدمة توصيل طلبات لدى شركة دومينو

Obeikan.com

للبيتزا. وعندما سنحت له الفرصة، كما يقول، - إذ عرض عليه أحد معارفه تذكرة سفر بسعر مغر - سافر إلى باكستان لكي يشاهد الجهاد بأم عينه[19]. وتجاهل عجاج الحصول على الوثائق اللازمة التي تضمن له العودة إلى الولايات المتحدة. وقد عرض عليه عبدالباسط تذكرة للعودة فقبلها. ولدى وصولهما إلى مطار كيندي مساء الأول من سبتمبر/ أيلول، تم توقيفهما في مكتب الهجرة. كان عجاج يستخدم جواز سفر سويدي مزوّر أعطاه إياه عبدالباسط، ومنع من دخول البلاد. وعندما اعترف بأن الجواز ليس له، تم توقيفه. وكشف التفتيش في حقائبه الثلاث عن وجود بعض الملابس وعدداً كبيراً من الأدلة العسكرية والمجلات الجهادية، وطرق تحضير المتفجرات الكيميائية، ومزيداً من الوثائق المزورة لإثبات الشخصية. وعلى إثر ذلك تم إيداعه في الحبس، وبقي رهن الاعتقال لستة شهور لاحقة.

أما عبدالباسط، من الناحية الأخرى، فقد كان يسافر خفيفاً. ومعظم ما كان في حقائب عجاج كان له. وقد وصل إلى المطار وليس معه سوى حقيبة يدوية. وكان يرتدي ملابس ظهر فيها كالطاووس، كما وصفه أحد الأشخاص، ثوباً مكوناً من ثلاث قطع ألوانها: برتقالي فاقع، وبني، وأخضر غامق، وأكمامه فضفاضة، وسروال نسائي منتفخ يشبه السروايل التي تلبسها حريم السلطان في الأفلام. وكان يحمل ما يبدو أنه جواز سفر عراقي أصلي باسم "رمزي أحمد يوسف"، إلا أن جواز السفر لم يحمل أي تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة[20]. وعندما سئل عن سبب عدم وجود تأشيرة دخول، أخبر موظفي الجوازات بأنه هارب من الاضطهاد السياسي في العراق، الذي كان يخوض حرباً مستمرة مع الولايات المتحدة منذ احتلال الكويت قبل عامين. وخيّر عبدالباسط بين التسفير والعودة من حيث أتى أو الاعتقال، فاختار الاعتقال، ولكنه أخلي سبيله فوراً وخرج من المطار مستقلاً سيارة أجرة إلى بروكلين ليبدأ مهنته الجديدة: رمزي أحمد يوسف الإرهابي المحترف.

ذهب يوسف فوراً إلى مسجد بروكلين الذي يوجد فيه فرع لمكتب الخدمات التابع لعبدالله عزّام. وهناك التقى الزعيم الروحي للمسلمين المتطرفين في نيويورك وهو الشيخ عمر عبدالرحمن، وهو شيخ مصري يعرف بالشيخ الضرير. وكان عمر عبدالرحمن من حلفاء عبدالله عزام، وهو من أبرز منظري الحركات الإسلامية حول العالم. ومن خلال عمر عبدالرحمن وغيره، تعرّف يوسف على عدد من الشباب الناشط، وسرعان ما جمع فريقاً من الرجال لمساعدته في تنفيذ حملته ضد الولايات المتحدة. وكان يوسف كإرهابي محتمل – يتمتع بميزتين كبيرتين: خبرته التقنية في المتفجرات، وجاذبيته. فقد كان طويل القامة ضامر البطن، ولم يحل بينه وبين حسن المظهر سوى أذنيه الكبيرتين. وفيه نزعة من الخلاعة والمجون. وكان يبدو أنه قادر على إقناع الناس وتسخيرهم للقيام بأعمال له لم يخطر في بالهم أن يقوموا بها في يوم من الأيام، أو لم تكن لديهم الإرادة للقيام بها بأنفسهم. وكان يجيد هذا الفن دون جهد أو عناء. وكان بارعاً في اختيار مساعديه من البسطاء السذّج، أو من ضعيفي القدرات والإنجازات. فكان يوجه إليهم الأوامر كما يشاء. وكما وضّح صديقه القديم مراد، لم يكن يوسف متديناً – بل ربما لم يكن متديناً على الإطلاق – ولكنه كان قادراً على التحدث بلغة الأشخاص المتدينين ويجعلهم يشعرون بأن أهدافه هي أهدافهم.

وفي خريف ذلك العالم، 1992، قام يوسف بتجنيد فريق من الأشخاص العاديين السذّج لمساعدته في بناء القنبلة. وانتقل إلى شقة سكنية في مدينة جيرسي في ولاية نيوجيرسي. وبينما كان يعدّ فريقه ويبني القنبلة، ذهب لمعاينة أهدافه. فتنقل حول بروكلين؛ لأنه سمع أن اليهود يعيشون في تلك المنطقة. ووضع في حسبانه عدة أصناف من القنابل _كان يحلم ببناء قنبلة تنبعث منها لدى انفجارها سحابة من الغازات السامة لتدخل في نظام التهوية في برج التجارة العالمي فيتسمم من بداخل البناية. وقام بشراء عينة من هذه

الغازات، إلا أنه لم يملك المال الكافي لصنع تلك القنبلة. وأخيراً استقر رأيه على أرخص النماذج التي خطرت على باله، وهي قنبلة بسيطة مصنوعة من السماد الكيماوي[21]. وقام يوسف بفحص نماذج من القنبلة التي جمعها وفجّرها في المناطق النائية بعيداً عن المدينة. وفي فبراير/ شباط، وبعد بداية متعثرة أودت به إلى المستشفى عقب حادث سير، انفجرت القنبلة التي بناها يوسف بكلفة بلغت 3 آلاف دولار، في الطابق السفلي من البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي في نيويورك، مودياً بحياة 6 أشخاص وجرح ألف آخرين، والتسبب بخسارة بلغت 300 مليون دولار. وتوقف يوسف مع رفاقه أمام مركز للبريد لوضع رسالة أرسلها إلى خمس وكالات إعلامية لإعلان مسؤوليتهم عن التفجير. وفي نقطة ما في حياته، وصف يوسف نفسه بأنه باكستاني بالمولد، فلسطيني بالاختيار، وعكست الرسالة التي تلقتها صحيفة النيويورك تايمز هذا الشعور:

نحن الكتيبة الخامسة من جيش التحرير، نعلن مسؤوليتنا عن التفجير الذي وقع في البناية المذكورة. لقد تم القيام بهذا العمل ردّاً على الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري لإسرائيل دولة الإرهاب ولبقية الدول الدكتاتورية في المنطقة.

ومطالبنا هي:

وقف كافة أشكال الدعم العسكري والاقتصادي والسياسي لإسرائيل.

وقف جميع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل.

عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول الشرق الأوسط.

وإذا لم يتم التجاوب مع مطالبنا فإن كافة وحداتنا العاملة في الجيش ستستمر في تنفيذ مهماتنا ضد الأهداف العسكرية والمدنية داخل وخارج الولايات المتحدة. ونحيطكم علماً بأن جيشنا

obeikan.com

يضم أكثر من مائة وخمسين جندياً انتحارياً رهن الإشارة. إن الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل (والمدعوم من أمريكا) يجب أن يجابه بإرهاب مثله، وإن الدكتاتورية والإرهاب (المدعومين أيضاً من أمريكا) والذي تمارسه بعض الدول ضد شعوبنا يجب أن يواجه بالإرهاب.

إن الشعب الأمريكي مسؤول عن الأعمال التي تقوم بها حكومته ويجب عليهم أن يسائلوا حكومتهم عن كافة الجرائم التي ارتكبتها بحق الشعوب الأخرى. وإلا فإنهم - أي الشعب الأمريكي - سيكونون هدفاً لعملياتنا التي ستقضي عليهم.

إننا ندعو كافة الشعوب من كافة الدول، وكل الثوريين في العالم إلى مشاركتنا في هذا العمل لتحقيق أهدافنا العادلة.

جيش التحرير - الكتيبة الخامسة.

الفريق الركن، أبو بكر المكي.

لم يكن هناك فريق ركن، ولا أبو بكر، ولا حتى أي جيش. فقط يوسف وتخيلاته الملتهبة التي كانت كافية بحد ذاتها. فيما جلس يوسف ذلك المساء في مدينة جيرسي ينظر إلى ناطحات سحاب مانهاتن وهو منكسر الخاطر. فقد نقلت محطات الأخبار تقديرات الدمار وأعداد القتلى. وكانت الأضرار التي أحدثتها القنبلة أقل مما كان يتوقع. فقد أراد يوسف من القنبلة أن تسقط البرج الشمالي من مركز التجارة العالمي وتدمر المجمع بكامله. وقدّر أن تصل الخسائر البشرية إلى 250 ألف قتيل. ولا يعرف بالضبط من أين أتى بهذه التقديرات؛ لأن هذا الرقم هو أضعاف أعداد الذين يعملون في تلك البنايات[22]. كتب يوسف نسخة أخرى من الرسالة التي تدعي المسؤولية، معترفاً أن القنبلة كانت أقل تدميراً مما كان يأمل، وتضمنت تلك الرسالة التي

تليت للتجربة ولكنها لم ترسل قط، التهديد التالي: "لسوء الحظ، لم تكن تقديراتنا صائبة هذه المرّة، إلا أننا نعدكم أن تكون الضربة القادمة في منتهى الدّقة، وسيبقى برج التجارة العالمي واحداً من أهدافنا ما لم يتم تحقيق مطالبنا[23].

بدا كل شيء تقريباً حول الهجوم على برج التجارة العالمي عادياً جداً، لدرجة أن موظفي وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA صنفوا يوسف بأنه إرهابي منفرد يعمل وحده. وبدا يوسف وكأنه رجل أهوج متهوّر، وعلى درجة ما من الذكاء والإبداع، ولكنه يفتقر إلى الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة. فهو على سبيل المثال، جنّد الشخص الذي قاد الشاحنة التي تحمل القنبلة إلى البرج في الليلة التي سبقت عملية التفجير. وكان يهدف أصلاً من رحلته إلى الولايات المتحدة القيام بجولة استكشافية أكثر منها للقيام بهجوم. ومن نتائج ذلك أنه كان يفتقد بشدّة إلى التمويل اللازم. فقد أنفق على رحلاته الجوية من وإلى أمريكا أكثر مما أنفقه على صنع القنبلة. وقال بأنه حدد تاريخ القيام بالهجمة بناءً على وزن محفظته. وعندما نفذت جيوبه من النقود قام بتفجير القنبلة. وقال بأن الأموال جاءته من الأسرة والأصدقاء، دون تقديم تفصيلات إضافية. والمصدر الوحيد الذي يمكن التثبت منه هو حوالة مالية بقيمة 660 دولار من خاله خالد شيخ أرسلت إليه في نيوجيرسي. ولو كان معه نقود أكثر لقام بصنع قنبلة أكبر.

إلا أن المحصلة النهائية لهجوم يوسف - ستة قتلى، ومئات الملايين من الأضرار المادية - لم تكن تافهة. فقد برهن يوسف - عدا عن الأضرار المادية التي استطاع إحداثها - أنه وبرغم سذاجة مجموعته، كان قادراً على توجيه ضربة في صميم عدوه بنجاح. فبرج التجارة العالمي، لم يكن هدفاً غير ذي بال. وربما كان اختياره عشوائياً، وأساليبه المتبعة هي أساليب الهواة، إلا أن

obeikan.com

دوافعه كانت حقيقية، وبرهن، دون شك، أن النتائج الوخيمة كانت محتملة. والسؤال الذي كان يجب طرحه بعد التفجير الأول لبرج التجارة العالمي، ليس: كيف استطاع أن يقوم بذلك؟ بل كم كنا محظوظين بتجنب مصيبة أكبر؟ وببعض التعديلات البسيطة، كان يمكن ليوسف أن يودي بحياة الآلاف.

وإلى حد بعيد عجزت الولايات المتحدة عن أن تتعرف وتقدّر أبعاد وملامح العصر الجديد الذي أطلّ عليها، ولكن سواء عرفه أحد غيرها أم لا، فإن حقبة من الإرهاب الديني قد وصلت وأطلّت برأسها. إن خلط الأهداف السياسية بالأهداف الدينية كان أمراً طبيعياً في تاريخ البشرية. والإسلام نفسه جاء إلى العالم بغايات وأهداف دنيوية وأخرى مقدسة. والذي تغيّر في هذا التقمص الأخير للإسلام يرتبط بالعالم الذي يعيش فيه أكثر من اتصاله بالإسلام نفسه. ومع حلول منتصف القرن العشرين، حقق التحرك نحو الحكم اللاديني نجاحاً بارزاً في كل مكان باستثناء العالم الإسلامي. وانحرف مناصرو الإسلام السياسي ببساطة عن طريق مواصلة بقائهم واستمرارهم بما يتجاوز الطموحات السياسية وإمبراطوريات الأديان الأخرى. وقد كان بالإمكان أن يبقوا مجرد مفارقة تاريخية ملفتة للنظر لولا ما قدمه العالم المعاصر لهم من وسائل تمكنوا بواسطتها من دمج معتقداتهم القديمة بالتقنيات الحديثة المتاحة لهم بسهولة. وكانت نتيجة هذا التزاوج إرهاب على درجة لم تكن معروفة من قبل.

كراتشي

غادر يوسف الولايات المتحدة ليلة وقوع الهجوم مستخدماً اسمه الحقيقي عبدالباسط. أما الآخرون فكانوا أقل حظاً منه. ولم يفعل يوسف شيئاً لحماية فريقه. فتركهم جميعاً يواجهون مصيرهم المشؤوم. وفي الناهية كان ذلك خطأ منه. فقد حُملت القنبلة إلى موقف السيارات أسفل البرج في حافلة مستأجرة من شركة رايدر. ولم يكن مع الشخص الذي استأجر الحافلة واسمه محمد

obeikan.com

سلامة أي نقود تمكنه من الهرب بعد العملية. وحتى يتمكن من شراء تذكرة للهرب حاول مراراً وتكرراً الحصول على المال من المصدر الوحيد الذي يعلم أن أمامه فرصة جيدة في الحصول على المال منه: وهو المطالبة باسترجاع مبلغ 400 دولار التي أودعت تأميناً على الحافلة لدى الشركة التي أجّرته الحافلة التي ادعى أنها سرقت. ودون أن يعلم سلامة أن أجزاء من الحافلة بقيت سالمة بعد الانفجار، وأن المحققين استطاعوا تحديد رقم شاصي الحافلة وتتبعها إلى المكتب الذي يمتلكها. ومن تلك اللحظة لم يكن من الصعب البحث عن سلامة، الذي أوصل نفسه إلى الشرطة عن طريق محاولاته البائسة للحصول على نقوده.

أدى اعتقال سلامة وأربعة آخرين، وما تبعه من تحقيقات إلى امتداد الخيوط مباشرة إلى يوسف، الذي هرب - كعادته - مسافراً في الدرجة الأولى - إلى باكستان. فتعقبته عمليات بحث دولية وصاحبها إعلان عن جائزة مقدارها مليوني دولار لمن يعثر عليه. وطبعت الحكومة الأمريكية صورة يوسف على 32 ألف علبة كبريت وألقتها عن طريق الجو في أنحاء باكستان. واختفى يوسف لبعض الوقت في بلوشستان، حيث كانت تسكن زوجته. وقد أمضى هناك وقتاً كافياً حتى إن زوجته لطيفة أنجبت مولوداً أنثى سمتها سناء في السنة اللاحقة، إلا أنه عاد وظهر في بيشاور وكراتشي كبطل شعبي مرموق لدى الأشخاص الذين يحبون أن يفجروا أنفسهم.

عاش عبدالكريم شقيق يوسف في كراتشي، وكان خاله خالد شيخ محمد، يزور باكستان في عدة مناسبات قادماً من الدوحة التي لا تبعد سوى ساعة طيران عبر بحر العرب. وكراتشي مدينة شاسعة متخلفة قاسية، وفيها نسبة كبيرة من البلوش (حوالي مليونين من سكانها الاثني عشر مليوناً). وفيها أيضاً جالية عربية كبيرة. وعلى العكس من بيشاور المدينة القديمة والمتصلة بقرون من التجارة والتقاليد المنتشرة في وسط آسيا، فإن كراتشي مدينة حديثة

أنشئت في القرن التاسع عشر ومتصلة بعالم أوسع. ويوجد فيها ميناء عميق المياه، ومطار دولي يتصل بمعظم عواصم الخليج وأوروبا وجنوب شرق آسيا وإفريقية والأمريكيتين.

وتعتبر كارتشي مدينة عصرية نسبياً، وتبدو في كثير من الأحيان مكاناً طبيعياً، وأكثر المدن الباكستانية انفتاحاً على العالم الخارجي، وأيضاً أكثرها عنفاً. يستقل الأطفال فيها دراجاتهم الهوائية إلى المدرسة كل يوم. ويمازح الأولاد البنات في نقاط توقف حافلات نقل الركاب. ويستمع الأبناء الكبار إلى الموسيقى التي تؤذي أسماع آبائهم. ويرتدي الرجال قمصاناً قطنية تتدلى إلى منتصف الساق وسراويل فضفاضة من اللون نفسه، معظمها رمادية أو بيضاء مطرّزة أحياناً باللون البنفسجي أو الذهبي. ويرتدي عدد كبير منهم القبعة المشدودة على الرأس والسائدة في ولاية السند التي عاصمتها كراتشي؛ ومن عادة الرجال أيضاً إطلاق لحاهم ولبس الصندل. وترتدي النساء ملابس مشابهة من الدشداشة والسروال، إلا أن الفارق هو أن الملابس النسائية مصممة باللون الأخضر الغامق والأزرق الغامق ومصنوعة من الحرير الأملس البرّاق. وتكون الألوان في الأحياء البلوشية أكثر بريقاً، وأكثر تناقضاً، وتعدداً. يوجد في كراتشي بعض الغرور والخيلاء الشائعين في المدن التي تعتاد الهيمنة على المناطق المحيطة بها. وقد كانت بالفعل، من هذا الجانب، تعشق الخرافة الشائعة عنها بأنها مكان الخطر والخديعة.

يسهل على أي شخص الانغماس في ذلك المكان. والأحياء البلوشية بالتحديد، يمكن لأي شخص أن يضيع وسطها إن رغب في ذلك. وهي إلى حد بعيد، الأحياء الأكثر اكتظاظاً بالسكان داخل المدينة المكتظة أصلاً. ويوجد أرصفة حول الشوارع، إلا أنها مغطاة بطبقة سميكة من الغبار والقمامة. وتبطّئ الخيول والحمير والماعز والعربات التي تجرها الخيول من حركة

الباصات الكبيرة المتكدسة بالركاب والمتجهة نحو كويتّا أو نحو قرى ماكران على الطريق نحو إيران. وتمتلئ الأرصفة بالعربات المحملة بصناديق البرتقال، والبصل الأحمر، وتتسخ الممرات بمخلفات الذبائح التي يطرحها القصابون الذين يبيعون اللحوم في الهواء الطلق.

والمدينة، بحسب أي مقياس، تعيش حالة من الفوضى والقذارة. ولم تشهد أي خطة شاملة للتطوير منذ العشرينيات من القرن الماضي. هواؤها ملوث، بالرغم من قلة عدد السيارات بحيث إن حركة السير فيها ميسّرة. وتسوق الشخصيات البارزة والموسرة سيارات تويوتا كورولا إلى العمل، وبعضهم برفقة سائق خاص وحارس شخصي. وعندما وصل خالد شيخ إلى كراتشي، كانت المدينة تتهيّأ للحصول على وصف أعنف مدينة في العالم. وانتشرت عمليات الخطف من أجل الفدية لدرجة أن السلطات المحلّية استطاعت أن تخفف من حدة هذه الظاهرة عن طريق اتباع الإستراتيجية البائسة باختطاف أقارب الخاطفين المشتبه بهم من أجل مقايضتهم بالرهائن. وتنتشر الملصقات في الأماكن العامة، وهذه الملصقات تحتوي على إرشادات حول "ماذا تفعل إذا تعرضت للخطف"، كما لو كان الأمر ظاهرة طبيعية كالهزة الأرضية. وتنتشر كذلك جرائم القتل. وتشير الإحصاءات إلى وقوع أكثر من ألف جريمة قتل في العام. وبلغت في شهر واحد عام 1995 276 جريمة قتل. وكلها نتيجة للخلافات الطائفية التي جعلت أجزاء المدينة مناطق حصريّة لهذا الحزب الديني الطائفي أو ذاك. ومعظم عمليات القتل بين مسلمين سنة يقتلون مسلمين شيعة أو بالعكس. وتعتبر المناطق التي تسيطر عليها طائفة دون أخرى "مناطق محرّمة" ليس فقط أمام المنافسين السياسيين، بل أمام الشرطة التي تخلت عن التفكير في السيطرة على ما يجري داخل تلك المناطق. وقد أصبح العنف ظاهرة طبيعية لدرجة أن المناطق المحرمة يشار إليها في الصحف اليومية

بالأحرف الأولى من العبارة اختصاراً وكأن كل شخص يعرف ما تعني. وأصبحت هذه المناطق جزءاً من نسيج المدينة، وجزءاً من تاريخها الذي جعل منها مكاناً مثالياً لشن حرب.

تعتبر كراتشي أسوأ مدينة باكستانية منّقعة بالدماء، ومع الأسف، ليست المدينة الوحيدة. فهذا البلد الذي تأسس أصلاً كموطن ديني منفصل للمسلمين، ليتحرروا فيه من حكم الغالبية الهندوسية في الهند عام 1949، قد عانى منذ نشأته صنوفاً من أشكال العنف الديني، أو حرباً دينية وعلى عدة مستويات. فقد كانت هناك درجة من العنف لا يمكن تصوّره في الغرب. ويتوارى القتل الطائفي خلف حجاب مجتمع عنيف أصلاً. مجتمع يحدد فيه الشرف والعار أفعالاً تعتبر هنا في الغرب طبيعية، بينما تعتبر في أماكن أخرى جرائم فظيعة.

وفيما يلي جريمة تقليدية كما جاءت في صحيفة يومية عادية: قُتلَ شخص يبلغ من العمر 55 عاماً في سامناباد رمياً بالرصاص. وذكرت الشرطة أن غولاب خان، وهو سائق عربة يجرها حمار - اعترضه رجل قرب النور مور جاء إلى المكان على ريكاشة. وقال سكان المنطقة في إفادتهم أمام الشرطة بأن الرجل غير محدد الهوية نزل عن الريكاشة وجرت مشادّة كلامية بينه وبين خان فأطلق الرجل النار وولّى هارباً. وأخبرت أسرة غولاب خان الشرطة بأن غولاب وقبل ثلاثين عاماً أقدم على قتل رجل من عشيرة منافسة. وتشك الشرطة أن الضغينة التي مرّ عليها ثلاثون عاماً كانت الدافع وراء جريمة القتل.

وهذا مثال آخر: أقدم ذو الفقار أحمد على قتل أخته وعشيقها في قرية مانديالا. وكانت فارزانا، الأخت، قد قدمت لتسكن مع أسرتها عقب مقتل زوجها. وفي تلك الأثناء أقامت علاقة مع حامد من لاهور. وفي يوم الاثنين كانا يجلسان معاً عندما جاء ذو الفقار وقتلهما. فمات الاثنان على الفور.

ومثال ثالث: أقدم رجل على قتل أخته وعشيقها بالفأس، في قرية بوداني يوم الأحد. وقال القاتل وهو محمد رمضان الذي سلّم نفسه للشرطة، بأنه رأى اخته وعشيقها جليل، في وضع مخل بالشرف عندما عاد إلى المنزل.

وغير ذلك الكثير من هذه الأمثلة التي أصبحت تشكل الحياة اليومية الاعتيادية في باكستان. احتفظ خالد شيخ بشقة سكنية في منطقة شرف أباد السكنية التي لا تبعد كثيراً عن مسجد ومدرسة بينوري التي كانت تعرف في المدينة بصداميتها. (كان الملا عمر، الذي أصبح فيما بعد قائد الطالبان في أفغانستان تلميذاً في تلك المدرسة). والحي نفسه يشبه باقي الأحياء التي سكنها خالد في أوقات مختلفة - منطقة تجارية، منخفضة القيمة، مليئة بالفنادق الرخيصة، وعابري السبيل، وكلاء السفر، محلات الصرافة. فهي من ذلك النوع من الأماكن التي يمكنك أن تأتي وتذهب دون أن يلحظك أحد وسط الزحام. كان خالد يقول للناس بأن اسمه عبدالمجيد. وأنه رجل أعمال سعودي ويشتغل باستيراد وتصدير عدة أنواع من البضائع من بينها الإليكترونيات اليابانية، والمياه المقدسة[24].

سافر خالد شيخ عدة مرات إلى الصين والبوسنة والبرازيل والسودان وماليزيا[25]. ولا علاقة لهذه الرحلات بعمله كمهندس في القطاع العام. ويبدو أن معظم هذه الرحالات، إن لم نقل كلها، كانت على علاقة بعزمه واهتمامه بشن عمليات إرهابية.

احتفظ خالد بعلاقة قريبة مع يوسف في نيويورك، وكان يتحدث إليه عن طريق الهاتف على نحو دائم. وكان معجباً بالشهرة التي حققها يوسف عقب الهجوم على برج التجارة، ورأى فيه نموذجاً يحتذى في عمليات مستقبلية[26].

أما يوسف، وعلى الرغم من كونه هدفاً لعمليات بحث دولية، فقد كان حريصاً على العودة إلى العمل بشغف حاملاً معه الكثير من الأفكار. وقدم

obeikan.com

زميله القديم عبدالحكيم مراد إلى كراتشي قادماً من فحاحيل ليحاول الحصول على وظيفة مع الخطوط الجوّية الباكستانية. وفي الواقع أنه كان بإمكانه العمل كطيار في أي شركة طيران تقبل بتوظيفه. ولكنه بعد أن أمضى ثلاثة أعوام متنقلاً بين خمسة معاهد للطيران، وحصوله أخيراً على رخصة طيّار، لم يتمكن من العثور على وظيفة في مجال الطيران. وبدلاً من ذلك وبعد أن انقطعت به السبل، قام بالتحدث إلى صديقه القديم يوسف.

سكن مراد - كعادته عندما كان يذهب إلى كراتشي - مع عبدالكريم أحد إخوة يوسف. وعندما يأتي يوسف إلى المدينة، كان يسكن في فندق إمبيسي. ويبدو أنه كان على غير وفاق مع أخيه.

وكان يوسف ومراد يلتقيان في الفندق، وربما ذهبا أحياناً لتناول الطعام في المطاعم. وكانا يتحدثان عن ضرورة أن يضحي المسلمون بحياتهم، إذا لزم الأمر، في هذا الصراع،[27] وهي فكرة رفضها مراد ابتداءً، إلا أنه عاد واقتنع بها. كما تحدثا حول بعض الأهداف المحتملة: بناظير بوتو التي كانت مرشحة لمنصب رئيس الوزراء في باكستان؛ محطات توليد الطاقة النووية؛ بعض المسؤولين الحكوميين في إيران؛ القنصلية الأمريكية في كراتشي؛ وعدداً آخر من الأهداف الحكومية الأمريكية. وكانت هناك خطة لاغتيال بيل كلينتون. واقترح مراد تحميل طائرة صغيرة بالمتفجرات وصدمها بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) أو المقر الرئيس لوكالة الاستخبارات المركزي الأمريكية. أعجب يوسف بالفكرة وقال بأنها جديرة بالدراسة. وأخذ مراد ليلتقي خالد شيخ، وقدّم له خالد على أنه عبدالمجيد، رجل الأعمال السعودي، كان خالد وقتها 29 عاماً، ولكنه كان يبدو أكبر سناً، ويمكنه أن يلعب دور رجل مسن. وواصلوا اجتماعاتهم في الشقة الموجودة في شرف أباد وتحدثوا بإسهاب حول تدريبات مراد في الطيران. وأراد خالد أن يعرف تفاصيل أكثر حول المدة التي

تتطلبها عملية التدريب، وكم تبلغ التكلفة، ومن هم الأشخاص المؤهلون لذلك. واجتمعوا مرة أخرى في مطعم يقع على شارع طارق، الذي لا يبعد كثيراً، ومرة أخرى استقى خالد من مراد مزيداً من المعلومات حول الطيران. وأخبر مراد أنه يحمل تصريح دخول إلى الولايات المتحدة وأنه يفكر في الالتحاق بمعهد لتعليم الطيران هناك. واقترح مراد كلية للطيران في مدينة ألبني في نيويورك، وهي واحدة من المعاهد التي تعلّم فيها. وعندما التقيا للمرة الثالثة، شاركهم رجل أفغاني يدعى والي خان أمين شاه. وكان شاه وخالد شيخ يعرفان بعضهما منذ أيام بيشاور، حيث كان أسامة بن لادن واحداً من الأصدقاء المقربين من شاه[28].

ولاحقاً في تلك السنة، وبعد أن انتقل مراد إلى شقة سكنية في كراتشي يملكها عم لأحد أصدقائه، قدم يوسف ليقيم معه. وكانت لديه خطة لاغتيال بوتو بواسطة قنبلة تفجر عن بعد[29]. واستطاع خالد شيخ أن يحصل على التمويل اللازم والأجهزة الضرورية من معسكر سيّاف في ضواحي بيشاور - وتم نقل المعدات إلى شقة مراد حيث بدأ يوسف بصنع القنبلة، أو "الشوكلاته" بحسب ما يصفها هو،. وأثناء تحضيراته، وعندما كان يحاول تنظيف نيترات الرصاص، وهي مادة شديدة التبخر تستخدم في المفجّر، انفجرت تلك المادة في وجهه خارج وعاء القنبلة، فسارع مراد وصديق آخر مشترك في المؤامرة بأخذ يوسف إلى أقرب مستشفى في المنطقة. إلا أنهما أخرجاه بسرعة عندما بدأ موظفو المستشفى بالسؤال عن أسباب إصابته، وقاما بنقله إلى مستشفى آخر. وهناك أخبر يوسف موظفي المستشفى أن اسطوانة غاز انفجرت في وجهه. واستطاع الجراحون إسعاف جزء من عينه المصابة. وعندما تعافى يوسف، جاء خالد شيخ ليدفع فاتورة المستشفى.

عاد يوسف إلى بيته في بلوشستان ليقضى فترة نقاهة هناك بعد خروجه من المستشفى. ولكنه رفض القعود كاسفاً لمدة طويلة، فسافر صانع القنابل

المقعد إلى بانكوك في تايلاند، وبدأ بتجنيد فريق لتفجير السفارة الإسرائيلية هناك[30]. وكانت تلك العملية، مرة أخرى، عملية متسرّعة وغير ناجحة، اشترك فيها أشخاص غير مدربين وعانت من حوادث سير. وتم اكتشاف قنبلة لم تنفجر تركت في حافلة مسروقة بعد أسابيع. ولم ينتج عن تلك العملية أي شيء. فعاد يوسف إلى كراتشي. واجتمع مرة أخرى مع مراد. وفي هذه المرة استطاع يوسف إقناع صديقه بالانضمام إلى الحملة. وانتقل الاثنان إلى مستودع مكشوف في لاهور حيث أمضى يوسف قرابة الثلاثة أسابيع في تعليم مراد كيفية صنع القنابل. وفي هذه المرة، كان التعليم لهدف؛ فقد قام كل من يوسف وخالد شيخ بوضع خطة جديدة.

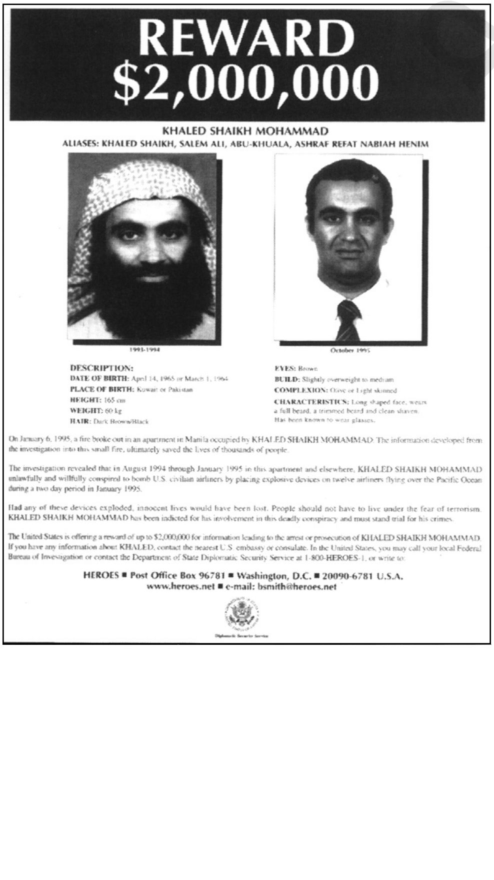

خالد شيخ محمد، باكستاني الأصل من مواليد الكويت، درس في الولايات المتحدة الأمريكية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية ناشطة في طلبه منذ عام 1996 للدور الذي لعبه في خطة فاشلة لاختطاف طائرات تجارية في الفلبين. وأوشكت مساعي القبض عليه أن تنجح ذات مرة إلا أن قادة المحققين لم يكونوا على علم بأنه انضم إلى جنود أسامة بن لادن وخطط لهجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول.

Obeikan.com

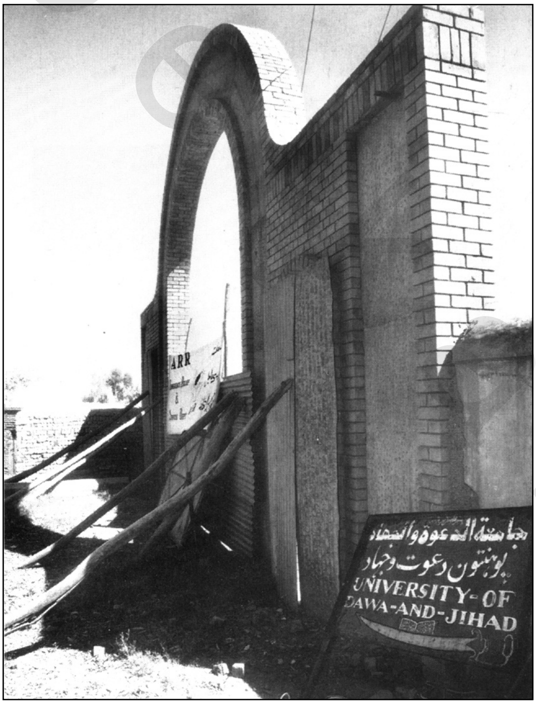

عمل خالد شيخ محمد مدرساً في جامعة الدعوة والجهاد الواقعة خارج حدود بيشاور في باكستان أواخر الثمانينيات من القرن الماضي. أسس هذه الجامعة عبد[رب] الرسول سياف زعيم الحرب الأفغاني، وتم تمويلها من الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية. (الصورة من عبدالمجيد غورايا)

obeikan.com

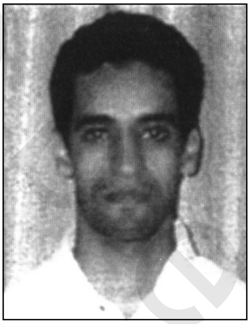
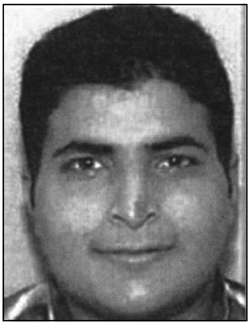
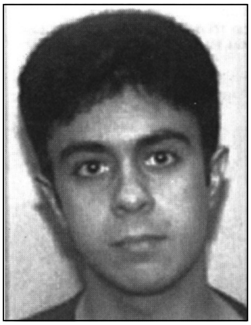
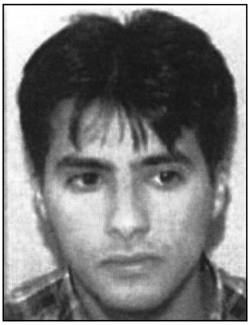
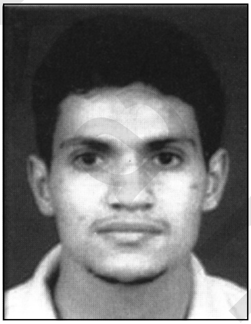
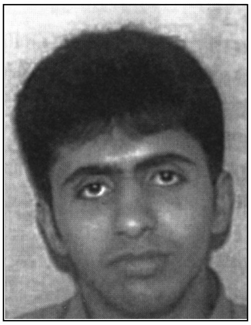
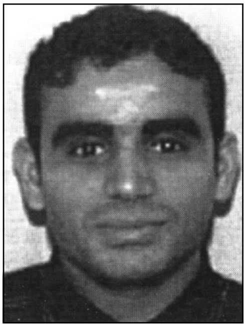
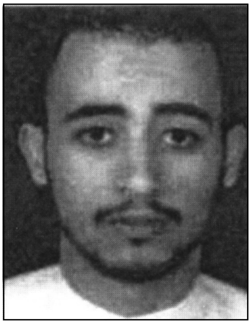
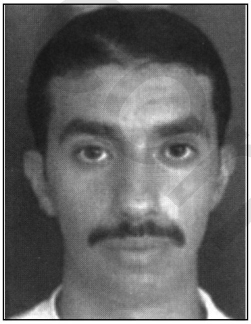

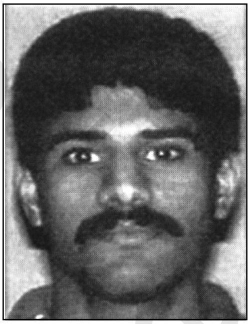
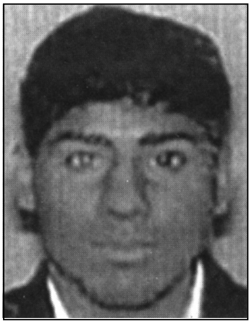
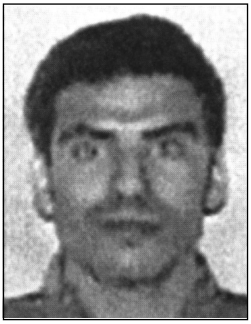
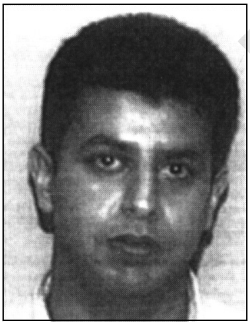
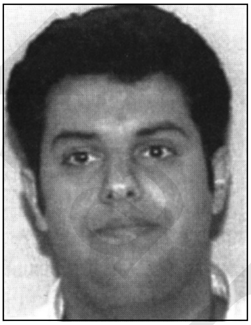
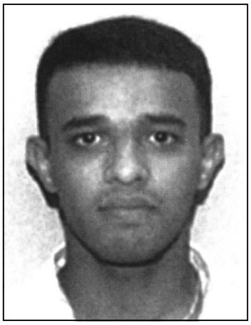
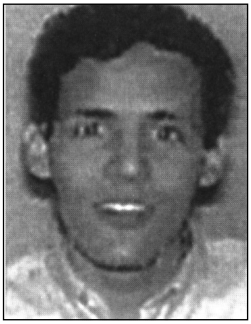

كان الخاطفون في 11 سبتمبر/ أيلول من الشبان الذين تم تجنيدهم في قضايا الإسلام المتطرف على يد شيوخ محليين في مدنهم وقراهم؛ وكان أربعة عشر من بين التسعة عشر سعوديون. غادر عدد منهم السعودية لقتال الروس في الشيشان، إلا أنهم اختيروا للانضمام إلى هجمات 11 سبتمبر/ أيلول في معسكرات التدريب في أفغانستان: من أعلى اليسار: أحمد الغامدي، حمزة الغامدي، سعيد الغامدي، نواف الحازمي، سالم الحازمي، خالد المحضار، أحمد النعمي، عبدالعزيز العمري، مهند الشهري، وائل الشهري، وليد الشهري، سطام السقيمي، فايز بني حماد، هاني حنجور، أحمد الحزناوي، ماجد موقد.

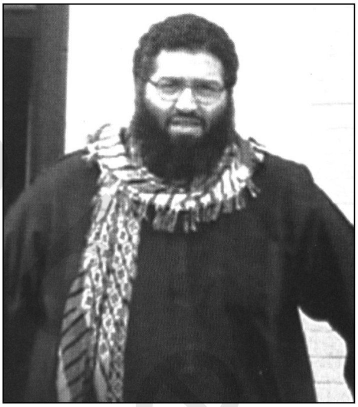

محمد حيدر زمّار، من قدامى المحاربين في الحرب المقدسة في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي، كان علماً بارزاً في المشهد الإسلامي في ألمانيا. كون علاقات صداقة مع مجموعة الطلاب الذين كان يقودهم محمد الأمير عطا وعمر (رمزي بن الشيبة) ويُعتقد أنه ساعد في تجنيد المجموعة للذهاب إلى معسكرات التدريب التابعة للقاعدة في أفغانستان. (الصورة من نت ميولر)

أخذت هذه الصورة الجماعية من شريط فيديو لحفل زفاف سعيد بهاجي عام 1999 في مسجد القدس في هامبورغ. ويظهر في الصورة عمر الذي يلبس السترة الداكنة فوق القميص الأبيض وهو يجلس في المقدمة. أقيم هذا الحفل قبل شهرين من سفر المجموعة إلى أفغانستان.

يقع مسجد القدس في شارع وضيع في منطقة فقيرة وقاسية من مدينة هامبورغ. وكان المسجد مركزاً للإسلام المتطرف في ألمانيا. وهو واحد من المساجد العربية القليلة في المدينة التي يشكل الأتراك فيها غالبية الجالية المسلمة. كان ثلاثة من الخاطفين يترددون على هذا المسجد للصلاة. وكان ثلاثتهم من المسلمين المعتدلين عندما قدموا إلى هذا المسجد، واستشهاديين محمومين عندما غادروه. (الصورة بعدسة نت ميولر)

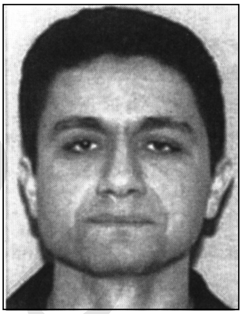

كان محمد الأمير عطا أكبر الخاطفين سناً وقائداً لفريق عملية الاختطاف في الولايات المتحدة. وهو ابن لمحام من الطبقة الوسطى في القاهرة.

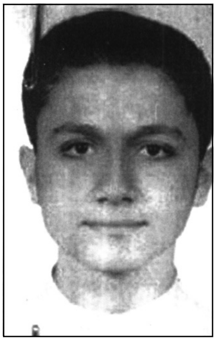

قدم محمد الأمير عطا إلى ألمانيا عام 1992 لمواصلة دراساته العليا، وحصل على شهادة الماجستير في التخطيط الحضري من جامعة هامبورغ - هاربورغ للتقنية. ظهرت هذه الصورة في طلبه الأول للحصول على الإقامة في ألمانيا. نشأ محمد في أسرة عادية التدين، إلا أنه تحول إلى متطرف مستعر في ألمانيا.

حصل محمد على شهادة الهندسة المعمارية عام 1991 في جامعة القاهرة العريقة في مصر. وفي ربيع السنة التي تخرج فيها، ذهب محمد بصحبة رفاقه في الجامعة إلى مدينة الأقصر جنوبي مصر في مشروع دراسي. وغادر مصر في السنة التالية متوجهاً إلى ألمانيا.
(الصورة مقدمة من محمد مختار الرفاعي)

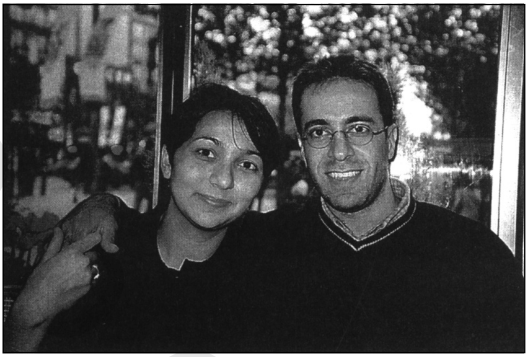

تعرف زياد جراح على آيسل سينغن في جامعة صغيرة تقع شرقي ألمانيا عام 1996، ونشأت بينهما علاقة غرامية. انتقل جراح فيما بعد إلى هامبورغ حيث انضم إلى مجموعة من الشباب الأصوليين المسلمين وذهب في النهاية إلى معسكرات القاعدة في أفغانستان. التقطت هذه الصورة في باريس خريف عام 2000.

انتقل كل من زياد جراح ومحمد الأمير ومروان الشحي إلى فلوريدا أواسط عام 2000 للالتحاق بمعاهد تدريب الطيران. وحصل ثلاثتهم على رخص قيادة طائرات خاصة. وحصل كل من الأمير والشحي على رخص قيادة طيران تجاري، ولم يكمل جراح تدريباته للحصول على رخصة طيار تجاري.

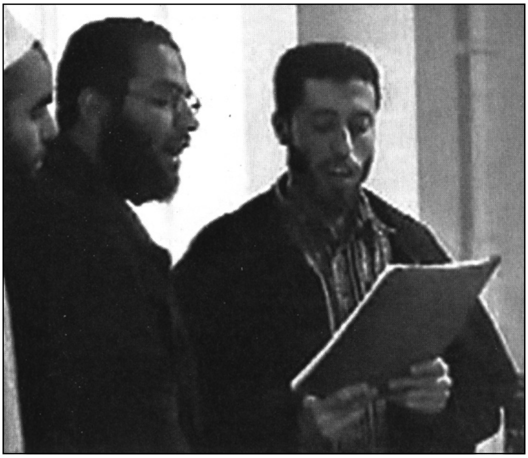

نشأ مروان الشحي (في الوسط) في أسرة محافظة ومتدينة في الإمارات العربية المتحدة. وجاء إلى ألمانيا على حساب بعثة دراسية مقدمة من الجيش الإماراتي لدراسة الهندسة. وعندما انتقل إلى هامبورغ عام 1999، انضم بسرعة إلى المجموعة التي تدور في فلك محمد الأمير وعمر. ويظهر الشحي في هذه الصورة وهو ينشد في حفل زفاف سعيد بهاجي.

في صبيحة يوم 11 سبتمبر/ أيلول الباكر، عبر محمد الأمير عطا وعبدالعزيز العمري (يسار) خلال بوابات الأمن والحماية في مطار بورتلاند الدولي في ولاية ماين من أجل اللحاق بالطائرة التي ستقلهم إلى بوسطن والتي وصلا إليها قبل موعد إقلاع طائرة الأميركان إيرلاينز رحلة 11 وهي الطائرة الأولى التي ضربت مركز التجارة العالمي.

G*L11BOS/ON

AA 11 11SEP BOS B32 745A 767 ON LIST F9C19Y63

1	ALSHEHRI	WAIL	P	LAX	2A-F	1 SC LF CLUB ET
2	ALSHEHRI.	WALEE	P	LAX	2B-F	NB SC LF CLUB ET
3	MORABITO	LAURA	P	LAX	2D-P	0 SC LF TKT AS
4	RETIK	DAVID	X	LAX	2H-F	NB SC LF CLUB AB ET PPR
5	ROSS	RICHA	P	LAX	2J-F	
6	NEWELL	RENEE	P	LAX	3A-P	
7	BOUCHARD	CAROL	P	LAX	3B-E	
8	FLYZIK	CAROL	X	LAX	3H-F	
9	PUOPOLO	SONIA	P	LAX	3J-F	
10	HACKEL FAR	PAGE	U	LAX	7A-F	
11	ANGELL	DAVID AC2	U	LAX	8A-F	
12	ANGELL	LYNN AC2	U	LAX	8B-F	
13	ATTA	MOHAM AG2	J	LAX	8D-F	
14	ALOMARI	ABDUL AG2	J	LAX	8G-F	
15	GLAZER	EDMUN	R	LAX	9A-F	
16	LEWIN	DANIE	R	LAX	9B-F	
17	GAY	PETER	R	LAX	9H-F	
18	HAYES	ROBER	R	LAX	9J-F	
19	HENNESSY	EDWAR	R	LAX	10A-F	
20	AL SUQAMI	SATAM	J	LAX	10B-F	
21	WAHLSTROM	MARY AD2	C	LAX	10H-F	
22	CURRIVAN	PATRI	J	LAX	10J-F	
23	CURRYGREEN	ANDRE	R	LAX	11A-F	
24	MELLO	CHRIS	R	LAX	11B-F	
25	BEUG	CAROL AD2	C	LAX	11D-F	
26	ROSENZWEIG	PHILI	R	LAX	11G-F	

SUNTRUST BANK, GULF COAST
P O BOX 620547
ORLANDO, FL 32862-0547

SUNTRUST

WITHDRAWALS/DEBITS

DATE	AMOUNT	DESCRIPTION	
06/28	1,164.00	CHECK CARD PURCHASE UNITED AIR 0162	WOODALE
06/29	104.87	CHECK CARD PURCHASE TARGET 00	DELRAY BEA
07/02	82.99	CHECK CARD PURCHASE SUNGLASS HUT #34	BOSTON
07/02	111.76	CHECK CARD PURCHASE ALAMO RENT-A-CAR	LAS VEGAS
07/02	800.00	CHECK CARD PURCHASE SELECT PHOTO	DELRAY BEA
07/03	21.28	CHECK CARD PURCHASE CHAMPS #4118	MIAMI
07/03	31.78	CHECK CARD PURCHASE PAYLESSSHOESOURC	HOLLYWOOD
07/09	55.88	CIRRUS ATM CASH WITHDRAWAL C8	TR ZH FLUGHAFE
07/09	55.88	CIRRUS ATM CASH WITHDRAWAL C8	TR D ZH FLUGHAFEN
07/09	279.41	CIRRUS ATM CASH WITHDRAWAL C8	TR DA ZH FLUGHAFEN
07/09	558.81	CIRRUS ATM CASH WITHDRAWAL	TR

عاش الخاطفون حياة بسيطة في الولايات المتحدة، حيث سكنوا في سلسلة من الشقق والفنادق ذات الأسعار المخفضة، وكانوا يتسوقون بحسب ما يظهر في سجلات بطاقات الائتمان في أسواق وول مارت وغيرها من الأسواق التي تبيع بأسعار مخفضة

كان برفقة محمد الأمير عطا والعمري في رحلة الأميريكان إيرلاينز رحلة 11 كل من وائل و وليد الشهري، الأخوين من السعودية، وسطام السقيمي، وهو الآخر سعودي. وقاموا بالسفر في رحلات استطلاعية لتحديد أفضل الأماكن لجلوسهم في الطائرة. وكان على متن كل طائرة مختطفة اثنان من الخاطفين في الدرجة الأولى على مقربة من قمرة القيادة. سارع هؤلاء باقتحام قمرة القيادة بعيد إقلاع الطائرة، ثم أتى الطيار الخاطف الذي كان في الخلف إلى الأمام ليتولى قيادة الطائرة بينما يحرسه بقية الخاطفين.

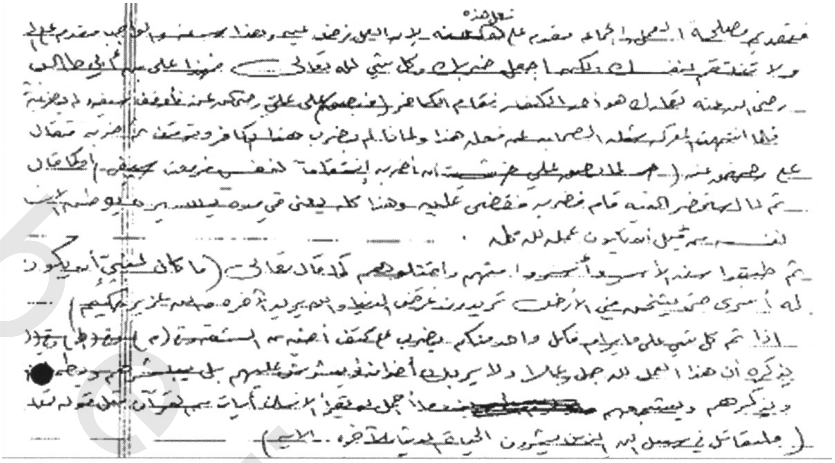

عثر على نسخ من هذه الوثيقة المكتوبة بخط اليد في أمتعة عدد من الخاطفين. وتتضمن تعليمات حول كيفية التحضير لمهمتهم الانتحارية النهائية، بما في ذلك توجيهات محددة حول كيفية الاغتسال ليلة الهجوم والتأكد من شحذ سكاكينهم.

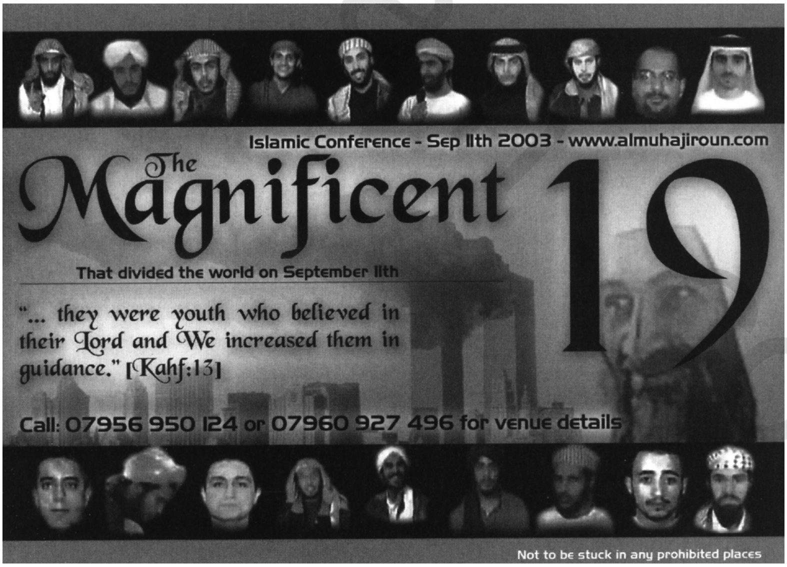

أصبح الخاطفون في هجمات 11 سبتمبر/ أيلول أبطالاً في نظر الإسلاميين المتطرفين حول العالم. وقد كان المحاربون الذين أسروا أو قتلوا في أفغانستان يحملون صوراً لهؤلاء الخاطفين في جيوبهم. هذه اللوحة الدعائية أعلاه استخدمت للدعاية لمؤتمر عقدته منظمة المهاجرون للاحتفال بانتفاضة الإسلام في لندن في الذكرى الثانية لهجمات 11 سبتمبر/ أيلول.

كوالالامبور

تشكل الأصولية الإسلامية في نظر الكثيرين خطراً أكبر على العالم الإسلامي منها على الغرب الذي يميل إلى الإحجام عن توجيه النقد لمعتقدات أي شخص حتى وإن كانت تلك المعتقدات معادية للمجتمع الذي يستضيف ذلك الشخص. عاد عدد كبير من المجاهدين إلى أوطانهم ليواجهوا أنظمة غير راغبة فيهم. وتاه بعضهم هائماً على وجهه دون هدف سوى الاستمرار في الجهاد. وأحد هؤلاء، وصل هو وزوجه إلى تجمع للمهاجرين في كامبونغ سونغاي مانغيس جنوب كوالالامبور في ماليزيا مطلع إبريل/ نيسان من عام 1992. كان قصير القامة، ممتلئ الجسم، كثيف اللحية، وعلى رأسه طاقية بيضاء؛ أما زوجته فكانت أقصر منه قامة، ومغطاة بالكامل بالبرقة والنقاب الأسودين. وكان الزوجان غريبين عن مايور محمد يوحنا، وهو الذي يملك أكواخ اللاجئين، ولكنهما قدما برفقة رجل يرأس جمعية إندونيسية محلية كبيرة، وتوسّم مايور فيهما السماحة.

كان الزائر إندونيسياً، وقال بأنه جاء إلى ماليزيا هارباً من بطش الرئيس الإندونيسي سوهارتو. وأن اسمه حنبلي، وأن كل ما يريده هو ممارسة الإسلام بحرية. فرد عليه مايور قائلاً بأنه لا يكترث بالمعتقدات الدينية أو المواقف السياسية لمن يسكن في التجمع. والواقع أن مستأجرين اثنين من إندونيسيا ذكرا أنهما جاءا للسبب ذاته. وأضاف مايور، ابتعد عن المشكلات، وادفع الأجرة، وسيكون كل شيء على ما يرام[31]. ورافق الزوجين إلى كوخ خشبي بحجم موقف السيارة، متهرئ الجدران، وله أرضية إسمنتية عارية، وفيه مصباح كهربائي واحد يتدلى من وسط الغرفة. فانتقلا إليه.

ولد حنبلي باسم إنسيب نورجمان في المناطق المرتفعة غربي جزيرة جافا، الجزيرة المركزية التي تتوسط الأرخبيل الإندونيسي. وإندونيسيا هي رابع أكثر

الدول المأهولة بالسكان في العالم، وأكبر دولة مسلمة من حيث عدد السكان. ويتقاطع الدين في هذا البلد مع أشكال من المعتقدات الوثنية والبوذية والهندوسية والمسيحية، إلا أن الغالبية، وبخاصة في جزيرة جافا، تدين بالإسلام. التحق حنبلي الذي تغلب عليه صفة الهدوء والمثابرة، بمدرسة إسلامية (يطلق عليها هناك بيسانترينس، ولكنها شبيهة بما يسمى المدرسة [الدينية] في باكستان) وجامعة. لبى نداء الجهاد أواخر الثمانينيات، وأمضى ثلاثة أعوام في أفغانستان، حيث تدرب في معسكرات عبدرب الرسول سياف والتقى من بين من التقاهم هناك خالد شيخ محمد. وهناك غيّر اسمه. وعاد إلى إندونيسيا باسم حنبلي. وبعد أن وجد أن تطرفه غير مرحب به في إندونيسيا، لجأ إلى ماليزيا مع زوجته، وهي مسلمة صينية تعرف عليها في مدرسة دينية كان يعمل فيها مدرساً[32]. وصل الزوجان إلى سونغاي مانغيس ومعهما كل مقتنياتهما الدنيوية - الملابس التي كانا يلبسانها وحقيبة صغيرة واحدة لكل منهما.

يقول مايور: "لم يكن معهما شيء آخر عندما رحلا إلى المنزل الفارغ. لا أريكة، لا كراسي، لا طاولات، لا شيء. كانا يطبخان ويأكلان وينامان على الأرض".

لا تبعد سونغاي مانغيس سوى بضع دقائق عن الساحل الماليزي الغربي، ومن هناك تستغرق الرحلة ساعة واحدة عبر مضيق مالاكا إلى جزيرة سومطرة في قوارب المهربين السريعة. وترقط تجاويف الخلجان ومصبات الأنهار الصغيرة الساحل البحري الذي كان ممراً مزدحماً للفقراء الإندونيسيين الذين يأتون للعمل هنا. ويمتد فرع نهر كولالانغات الذي يصب في المضيق مباشرة خلف الكامبونغ. وهذا المكان، وإن كان ريفياً، إلا أنه ليس زراعياً. وتنتشر المصانع الصغيرة في كل مكان. وبعض هذه المصانع صغيرة جداً لا تتعدى مساحتها مساحة حديقة المنزل، ويعمل فيها بضعة عمال. إلا أن

سونغاي مانغيس لم تكن مكاناً يقصد بهدف جمع الثروة والأموال. فالمنطقة مغطاة بمزارع المطاط، السلعة الاقتصادية المهمة التي جلبت الإمبراطورية البريطانية إلى المنطقة. وقد هجرت معظم هذه المزارع عندما تحول السوق إلى بدائل المطاط الاصطناعي. ونمت هذه المزارع حتى أصبحت جزءاً من الغابات المحيطة. الأفق مخضرّ ومتشابك، والتربة ذات لون برتقالي غامق، تلتصق بكل شيء على شكل غبار في الصباح، وطين بعد أمطار منتصف النهار. ولا تسعف هذه الأمطار في تلطيف حدة الحرارة إلا بالشيء اليسير. فما إن تسقط على الأرض الحامية حتى ترتفع طبقة من البخار لتلف كل شيء تلامسه بمعانقة رطبة خانقة. وما زالت التلال حتى هذا الوقت فارغة من الأحياء ذات النمط الغربي المنتشرة في كوالالامبور، إلا أن الجرافات قادمة. وبدأت المنطقة بالانجذاب نحو محيط كوالالامبور الآخذ بالتوسع. وتحتوي الأكشاك المنتشرة على جانبي الطريق والمكدسة عالياً بالمانغو، والدوريان، والأناناس، على مؤشر زحف الضواحي المتقدم وهو أكياس كرات مستعملة للعبة الغولف.

عمل حنبلي في وظائف متغايرة وأظهر ميولاً نحو المشاريع الصغيرة المستقلة. وبدأ بالظهور خارج مسجد القبة الذهبية الذي يقع في الطرف الجنوبي من بلدة بانتينغ التجارية. حيث كان يبيع الكباب على عربة مجرورة. أما زوجته نور الوزة لي والمعروفة حول البلدة باسم آوي، فقد لحقت بها أمها التي جاءت من بورنيو موطنهما الأصلي. وقلما خرجت المرأتان خارج حدود الكوخ المستأجر. وتحوّل حنبلي من بيع الكباب إلى بيع الأدوية، خليط العسل والأملاح المعدنية الذي استورده ويدعي أنه مفيد في معالجة عسر الهضم. وحقق نجاحاً في عمله الجديد. وسرعان ما أصبح يملك سيارة بروتون زرقاء اللون ويتابع اتصالاته على هاتفين خلويين. بعض هذه المكالمات كانت مع رجل عربي كان قد وصل للتو إلى مانيلا، هو محمد جمال خليفة صهر أسامة بن

لادن[33]. جاء خليفة إلى مانيلا عام 1988 وبدأ بتأسيس شبكة من الأعمال الصغيرة - مصنع أثاث راتان، وكالة سياحة وسفر، وغيرها - إضافة إلى شبكة إسلامية من المتمردين في المقاطعة الجنوبية ميندناو[34]. وقد أفاد المخبرون الذين اخترقوا جماعة أبو سياف للسلطات أن خليفة كان واحداً من أهم ممولي المجموعة. وكشفت سجلات التصنت على مكالمات خليفة عن إجرائه عدة مكالمات مع قيادين في جماعة أبو سيّاف إضافة إلى حنبلي الذي كان يشارك هدف سياف بإقامة دولة إسلامية شاملة.

تقدم حنبلي بطلب ترخيص لأعمال مقاولة، وحصل عليه، وقام بتشغيل فريق عمل لإنجاز بعض أعمال الإنشاءات الصغيرة في المنطقة. وبدأ بالسفر لغايات العمل. بحسب ما كان يقوله لمالك السكن الذي استأجره. وكان يختفي لعدة أسابيع أحياناً. وكان يستقبل في مسكنه أعداداً منتظمة من الزوّار، وكانوا يرطنون بالإنجليزية والعربية، وفي بعض الحالات كانوا يحملون أكياس تسوق من المنطقة الحرة في المطار. كانت أعمار هؤلاء الأشخاص "تتراوح بين أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات. وكانت تظهر عليهم علامات الشدة والبأس. وأتذكر أنني عندما رأيتهم في ذلك الوقت قلت في نفسي إن هؤلاء الأشخاص يصلحون للعب في فريق كرة القدم" بحسب ما يذكر مايور. وهؤلاء الأشخاص - كما تبين فيما بعد - كانوا من الجهاديين الذين يأتون ويذهبون من وإلى معسكرات التدريب في أفغانستان، وكانوا يذهبون إلى هناك عن طريق منظمة متطرفة أسسها حنبلي بالاشتراك مع رجلين آخرين يقطنان في المكان نفسه هما: أبو بكر بشير، ومحمد إقبال، وكان يطلق على هذه المنظمة الجماعة الإسلامية. وقد أرسلت هذه الجماعة عدة مئات من الشباب إلى المعسكرات[35]. ولدى عودتهم إلى أوطانهم، كانوا يندمجون في منظمة كانت تهدف إلى جمع كافة مسلمي جنوب شرق آسيا تحت لواء دولة إسلامية واحدة.

ويصف مايور حنبلي بالقول: "كان متواضعاً جداً. وذا وجه صبوح بشوش. ولن يراودك شك في الثقة به. لم يكن من الإسلاميين القتاليين"، ويضيف، "وفي بعض الأحيان، يأتي بشير وإقبال للصلاة في مصلى [القرية] وكان إقبال يؤم الصلاة في العادة. وأحياناً بشير. ولم يسبق أن أمّ حنبلي بالصلاة. واستخدم إقبال وبشير المناوشات بين المسلمين والمسيحيين في مالوكو وأمبون في محاضراتهما التي كانا يلقيانها في المصلى كدليل على الاضطهاد الذي يعاني منه المسلمون. وكانا يتحدثان عن الجهاد ولكنهما لم يطلبا من أحد حمل السلاح".

كان مايور مخطئاً طبعاً. ومهما بدا الأمر بعيد الاحتمال، فقد أصبحت سونغاي مانغيس - القرية الصغيرة وسط الطين الأحمر المبلل في الغابات المجهولة - مركز الجماعات الإسلامية المسلحة في جنوب شرق آسيا.

مانيلا

بقي حنبلي على اتصال مع أشخاص كان يعرفهم منذ أيام الجهاد. ومن بينهم خالد شيخ محمد. وفي ربيع 1994، أرسل خالد شيخ محمد شخصاً يدعى والي شاه للاجتماع بحنبلي في كوالالامبور. أسس شاه وحنبلي شركة استيراد وتصدير تدعى كوسوجايا، مدعيان بأنهما ينويان العمل في تجارة زيت النخيل وتصديره إلى الشرق الأوسط. وكان الهدف الحقيقي من هذه الشركة هو نقل الأموال التي كان سيجمعها خالد شيخ محمد في الشرق الأسط ويرسلها إلى شرق آسيا. وسافر رمزي يوسف وشاه عدة مرات إلى منطقة حنبلي، ومن خلال العمل مع جماعة أبو سياف في جنوب الفلبين وكثرة زياراتهما لمانيلا وترددهما عليها، استطاعا تكوين علاقات غرامية مع فتيات فلبينيات. وفيما يخص يوسف، كان من بين الفتيات اللاتي صاحبهن، فتاة جميلة وصغيرة في السن تعمل راقصة في ناد ليلي، وأخرى تعمل محاسبة في مطعم كينتاكي فرايد تشيكن[36]. أما شاه، فقد طوّر علاقة طويلة الأمد مع

فتاة اسمها كارول سانتيغو كانت ترتاد الخمارة التي يذهب إليها. وكان خالد شيخ محمد يأتي إلى المنطقة بين الحين والآخر عدة مرات، ولكن لم يكن له خليلة ثابتة كصاحبيه، ولكنه طلب من فتيات تعرف عليهن أن يقدّمن له بعض الخدمات، منها فتح حساب مصرفي، وحسابات هواتف نقالة. وكافأهنّ مالياً مقابل تلك الخدمات[37].

عاد خالد شيخ ويوسف وشاه إلى الفلبين أوائل عام 1994. وبعد وصولهم البلاد تفرقوا في عدة اتجاهات. سكن شاه مع صاحبته سانتيغو في شقة تقع على شارع سينغالونغ. أما يوسف الذي كان يستخدم اسم آدم بلوش، فاستأجر غرفة في فندق من الدرجة الثالثة يدعى مانور هوتيل. واستأجر محمد، مستخدماً اسم سالم علي، شقة سكنية في مجمع تيفاني مانشينز، وهي عمارة سكنية جديدة مكونة من خمسة وثلاثين طابقاً في ضاحية غرينهل من المدينة. ولهذه البناية مدخل رخامي واسع، وقاعة للتمارين الرياضية وبناء الأجسام، وبركة للسباحة والجاكوزي. وكان من بين جيران محمد في البناية، نجم السينما الفلبيني جوزيف إسترادا الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية. واشترى محمد سيارة تويوتا كورونا، وكان يغادر كل يوم لابساً بلوزة بولو وسروالاً عادياً، كما لو كان يذهب للعمل في مكتب.

كانوا يخرجون من المدينة ويعودون إليها. ويجتمعون في أماكن عامة، في الأسواق والفنادق ونوادي الرقص والغناء والخمّارات حيث لا يمكن ملاحظتهم. وكانت الشرطة تراقب عشرات من الإرهابيين الإسلاميين المشتبه بهم في المدينة، إلا أنهم لم يعثروا على أي دليل على الأشخاص الثلاثة، إلا فيما بعد، وعقب البحث في قمامة شاه خارج شقته السكنية، حيث عثر على عقد إيجار ممزق موقع من طرف محمد خليفة صهر أسامة بن لادن[38].

وفي إحدى الزيارات الأولى لمينديناو على أقصى الطرف الجنوبي في الجزيرة، دبّر يوسف ومعه قائد مجموعة أبو سياف عبدالرجاك الجنجلاني

خطة تبدو خيالية لاغتيال البابا يوحنا بولص الثاني الذي كان يعتزم زيارة الفلبين أوائل 1995 [39]. وأَسَرَّ يوسف لمراد بأنه كان يعتقد أن رجال أبو سيّاف لم يكونوا على درجة من الذكاء لعمل أي شيء ولا حتى الاقتراب من محاولة قتل البابا، إلا أنه رأى أن الفكرة كانت ممتازة وأن بإمكانه استخدام موارد جماعة أبو سيّاف للقيام بالمهمة بنفسه ثم نسبة العملية للجماعة[40]. كانت فكرة اغتيال البابا نصف الخطة، إذ جرى التفكير أيضاً باغتيال الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي كان هو الآخر يعتزم القيام بزيارة قصيرة إلى مانيلا قبل زيارة البابا لها. إلا أن يوسف تخلّى عن محاولة اغتيال كلينتون بعد أن تبين له خلال البحث أن تحضيرات الزيارة والإجراءات الأمنية المتبعة أثناء زيارة الرئيس الأمريكي ستكون مشددة جداً، واحتمالات نجاح المحاولة ستكون ضئيلة. ومن جانب آخر، بدت زيارة البابا أكثر عرضة، وهدفاً أسهل. فمن ناحية، كان البابا يعتزم المكث في الفلبين لمدة أسبوع تقريباً، يعقد خلالها أكثر من قدّاس ديني في الهواء الطلق في عدة مدن فلبينية. وفي العادة يجذب القدّاس البابوي مئات الآلاف من الناس، وتكون مصحوبة بالضوضاء التي تكفي لتغطية أي نشاط يمكن أن يقوم به يوسف ومحمد. ووضعا في حسبانهما عدة خيارات: إطلاق الرصاص. الهجوم من الجو، تفجير انتحاري. وفي وقت ما، استأجر يوسف ومحمد طائرة هيلوكبتر وطافا بها حول مانيلا. وقال يوسف لمراد بأن استئجار الهيلوكبتر كان محاولة من محمد لكي يبهر فتاة كان يحاول إغواءها. إلا أنه يبدو على الأرجح أنها كانت محاولة لاستكشاف المنطقة. طرحت فكرة الهجوم الجوي جانباً بعد أن اكتشف يوسف أن الحكومة الفلبينية تنوي حظر الطيران في المناطق التي يزورها البابا طيلة فترة زيارته. وقام الاثنان بشراء ملابس قساوسة وأناجيل بهدف التمويه إذا حاولا الاقتراب كثيراً لتفجير القنبلة على مقربة من البابا. إلا أن هذه الفكرة هي الأخرى طرحت جانباً. وعاين الاثنان الطريق التي يحتمل أن يسلكها البابا في أثناء

زيارته، وأخيراً استقرا على الهجوم باستخدام قنبلة أسطوانية تفجر عن بعد. وفي نوفمبر/ تشرين ثاني، انتقل شاه وخليلته إلى غرفة في سكن جوزيفا الذي يقع على الطريق من وإلى منزل السفير البابوي الذي سيقيم فيه البابا في أثناء إقامته في مانيلا.

تبدو جوزيفا وكأنها تقع بين عالمين – الأحياء السكنية التي تتخللها الأشجار الخضراء والبيوت القديمة الواسعة والهادئة، ويوجد فيها أيضاً مقر البعثة البابوية، والمدينة القديمة والمراكز الحكومية. وبينهما توجد مقاطعة جوزيفا إرميتا، وهي منطقة شديدة الإضاءة، ومليئة بالأماكن الترفيهية التي تعمل على مدار الساعة، ونوادي البلياردو الضخمة، والخمّارات، ومحلات الصرافة، ومراكز الاتصالات الدولية، وصالونات الحلاقة، وصالونات التجميل، ومحالات بيع اللحوم الحلال، ووكالات السياحة والسفر. وتشبه إلى حد بعيد المنطقة التي سكن فيها خالد شيخ محمد في كراتشي، وأيضاً تلك التي نشأ فيها في فحاحيل في الكويت. والجامع المشترك بين هذه الأماكن هو انسيابية هذه المناطق، وسهولة الاختفاء والتحرك وسط زحام خليط من الناس من ثقافات ولغات مختلفة يأتون ويذهبون، وهم في طريقهم دائماً إلى مكان آخر. وكان الرئيس كلينتون يحب أن يقول بأن الإرهاب الدولي هو الوجه المظلم للعولمة. وفي هذه الأحياء، يعبّر الدليل الذي يدعم هذه المقولة عن نفسه كل يوم في النهار. وفي الليل أيضاً؛ لأن أرميتا هي أكثر من أي شيء آخر، حي ليلي"[41].

تبلغ الأجرة الشهرية للشقة الصغيرة التي استأجرها شاه وخليلته في الطابق الرابع في جوزيفا أقل من 300 دولار شهرياً. وبهذه الأجرة، حصل على غرفة طولها 30 قدماً وعرضها 12 قدماً بأرضية خشبية ومطبخ صغير مجهّز وسرير. وللبناية مدخل مزين بالفسيفساء والجدران المجصصة وفيه أصغر قاعة رئيسة في العالم. وتغشى المكان نسمات نادرة من الهواء بفعل مرور

الشاحنات وسيارات الأجرة التي تسير في الطريق السريع ذي الستة مسارب أمام البناية. وهذه الطريق هي المساهمة الرئيسة التي قدّمتها تلك البناية للمخططين لأنها تقع وسط مسير موكب البابا.

كان يوسف يجري عدة اختبارات وتجارب على عدد من أجهزة التفجير المختلفة. وقام ببناء أكثر القنابل الاسطوانية بدائية والتي لا تتجاوز في تكوينها مجرد إسطوانة معدنية معبأة بالمواد المتفجرة. ويمكن لطلبة الصف الثامن أن يصنعوا قنابل مشابهة لها بكل سهولة. ومن الناحية الأخرى، كان يوسف على وشك الفراغ من صنع قنبلة صغيرة يعتقد أن بإمكانه تفكيك مكوناتها إلى أجزاء صغيرة جداً بحيث يصعب أن يخطر على بال أحد أن تكون أجزاء قنبلة، ويمكن بذلك خداع أقصى درجات التدابير الأمنية. وتتكون هذه القنبلة من كمية صغيرة من النايتروجليسيرن يمكن تخزينها في زجاجات محلول عدسات العين الطبية أو في أسطوانة معجون الأسنان. أما الصاعق الذي سيفجّر النيترات فيكون موصلاً بسلك موصول بساعة مؤقتة معدّلة من نوع كاسيو داتابانك. وميزة هذه الساعة بالنسبة لصانع القنبلة، هو سهولة توفّرها في الأسواق، والقدرة على ضبط المنبه إلى وقت يمكن أن يصل إلى سنة. قام يوسف بتعديل الساعة بإضافة وصلة إليكترونية دقيقة لا يمكن لأي شخص ملاحظتها إلا إذا كان على علم دقيق بأجزاء الساعة. وستبدو الساعة وكأنها ساعة عادية جداً. ويمكن توصيل فتيل كهربائي مفرقع مصنوع من بطاريتين بقوة 9 فولت بالساعة ومنها إلى القنبلة خلال دقائق. ويمكن لأجزاء القنبلة المفككة أن تعبر خلال أجهزة أمن المطار دون إثارة الشكوك أو أجهزة الإنذار. كما يمكن تجميعها خلال دقائق في مرحاض الطائرة. وإذا تم توقيتها لتنفجر خلال ساعات أو أيام، فإن حاملها سيكون في دولة أخرى أو حتى قارة أخرى في الوقت الذي تنفجر فيه القنبلة.

Obeikan.com

مع حلول الأول من ديسمبر/ كانون أول، كان يوسف قد أتم نموذجاً من قنبلته هذه وكان جاهزاً لفحصه. فأعطى القنبلة المجمّعة مسبقاً والتي يسهل حملها في حقيبة تسوُّق أو في حقيبة ظهر، لوالي شاه مع تعليمات لأخذها إلى إحدى دور السينما قرب مسكن محمد ووضعها أسفل أحد المقاعد في صالة العرض، ومغادرة المكان فوراً. نفّذ شاه التعليمات التي أعطيت له. وبعد وقت قصير انفجرت القنبلة الصغيرة. كان الانفجار صغيراً جداً لدرجة أن أحداً لم يصب بجراح. إلا أن التجربة كانت ناجحة. وعمل كل شيء كما كان متوقعاً بالضبط. والآن أصبحوا جاهزين للعمل.

قدم يوسف ومحمد إلى الفلبين بسبب الدعم الذي تقدمه شبكات الإسلاميين المبتدئة حديثاً في البلاد، وبسبب رخص المعيشة والتكاليف في ذلك البلد، فالفلبين كانت في نظرهم قاعدة محتملة لتطوير جيش التحرير الخيالي الذي تصوره يوسف. إلا أنه لم يكن لديهم النية لمهاجمة مواطنين فلبينيين. بل ربما كانوا متعاطفين مع السكان المحليين. فمنذ الطفرة النفطية، كانت دول الخليج مثل الكويت التي نشأ فيها يوسف ومحمد، تعج بالعمال الأجانب القادمين من جنوب آسيا - باكستانيين وهنود ومن جنوب شرق آسيا وبخاصة الفلبين. وكان رعايا الفلبين أكثر عدداً من العرب في الكويت والإمارات والسعودية. وكانوا يشكلون الطبقة العاملة في المحلات التجارية والخدم والباعة. وكانوا يحتلون المرتبة الدنيا في السلّم الطبقي في تلك المجتمعات، وكانوا أدنى من الطبقة التي تضم الباكستانيين المولودين في الكويت مثل يوسف ومحمد.

وكل ما يسعى محمد ويوسف إلى فعله هو مهاجمة الأمريكان، إلا أنه وبعد الإعلان عن تأجيل زيارة كلينتون، أخذا يبحثان عن أهداف جديدة. ويعتبر الهدف المثالي للقنبلة الصغيرة التي اخترعها يوسف هو الهدف الذي يمكن أن

يحدث أبلـغ الأثر للمتفجـرات الصغيـرة. وفيما عدا النتيجة المباشـرة المقصودة - الموت - فـإن ذلك يكون عكس وضع قنبلة ضـخـمـة مـصنوعـة من السـمـاد الكيماوي في شاحنة، ووضع الشاحنة في مصف السيارات أسفل بناية كبيرة، كما فعل يوسف في نيويورك.

وقد وجدا الهدف المثالي - وهو طائرات نقل الركاب التجارية. في العادة، تسعى شركات الطيـران التي تسيّر رحلاتها عبـر المحيط الهادئ إلى استخدام أكبـر الطـائرات المتـوفرة؛ وذلك لتحـقيق أكبـر قـدر من الأرباح بأقل قـدر من التكاليف. وفي تلك الأيام، كـان أمام شـركـات الطيـران خيـار وحيـد هو طائرة البوينغ 747 العمـلاقة. وخلال التسعينيات، كانت مطارات جنوب شرق آسيا كلها تبدو وكـأنها صالة عرض لبيع طائرات البوينغ. وكانت مصافّ الطائرات، ومدرجات الطيران، والأجواء، مليئة بالطائرات الكبيرة. وكـانت تلك الطائرات تتنقل من دولة إلى أخرى لتحميل الركاب ثم تقطع بهم المحيط الهادئ. وكانت بعض الـدول تسـتـخـدم تلك الطـائـرات في الرحـلات القـصـيـرة. وتشكل هذه الطائرات الضخمة بما تحمله من الأعداد الكبيـرة من المسـافـرين، أهدافاً مكشوفة. ولا يوجد مكان آخر يمكن لقنبلة صغيرة أن تحدث فيه أكبر الأثر من تلك الطائرات.

تولدت الفكرة لدى محمد ويوسف في الصيف الماضي، وعملا بجدّ وتأنّ في وضع الفـريق اللازم لتنفيـذها[42]. وباستـخـدام شيء لا يزيد تعـقيـداً عن جداول الرحـلات الجـوية، وضعـا خطة يستطيع بمقتـضاهـا خمسـة رجـال يستقلون اثنتي عشرة رحلة جوية في يوم واحد. رحلتان لكل شخص للمجموعة الأولى المكونة من ثلاثة أشخاص، وثلاث رحلات لكل واحد من الشخصين المتبقيين. وعلى كل شخص أن يجمع القنبلة ويتركها على متن الطائرة بعد أن يؤقت ساعة القنبلة لتنفجر بعد يومين، الأمر الذي يعطي الفرصة لهم بأن

يكونوا في أماكن بعيدة عن الانفجار. كان الحساب بسيطاً: اثنتا عشرة رحلة، وفي كل رحلة قرابة الأربعمائة شخص، فينتج عن ذلك قرابة الخمسة آلاف قتيل. وسيكون ذلك يوماً عظيماً بالنسبة لهم. ومصيبة على الأمريكان الذين يملؤون تلك الطائرات.

وبعد الاختبار الناجح في دار السينما مباشرة، اتصل يوسف بصديقه مراد، الذي كان في دبي، ليخبره بأنه وجد له عملاً[43]. وأراد منه أن يأتي إلى مانيلا على جناح السرعة، وأنه - أي يوسف - على استعداد لتحويل المبلغ اللازم له لشراء تذكرة السفر، ووافق مراد على الحضور. لم يكلف مراد نفسه عناء السؤال عن نوع تلك الوظيفة. فقد كان يعرف. إذ ما كان يوسف ليمضي معه ثلاثة أسابيع لتعليمه كيفية صنع القنابل دون سبب.

أراد يوسف ومحمد أن يجريا مزيداً من الاختبارات للتأكد من إمكانية وضع القنبلة على متن الطائرة. وقام يوسف بإجراء التجربة بنفسه. فاستقل في الثامن من ديسمبر/ كانون أول، الرحلة رقم 434 . على متن الخطوط الفلبينية، والمقرر أن تغادر من مانيلا إلى طوكيو بعد توقف قصير في سيبو. وعندما كان في الطائرة ذهب يوسف إلى مرحاض الرجال، وجمّع قنبلته الصغيرة، ثم عاد ليجلس في مقعده. ووضع القنبلة أسفل المقعد، وخرج من الطائرة عند توقفها في سيبو. وبعد ساعة، انفجرت الطائرة في منتصف الرحلة مودية بحياة الراكب هاريكو إيكاغامي. وقد استطاع قائد الطائرة، وبفضل مهارته العالية أن يمنع الطائرة من الغوص في مياه المحيط. كان يوسف يعلم أن بإمكانه اصطحاب قنبلة أكبر، وإذا وضعت في المكان المناسب، سيكون من المستحيل نجاة الطائرة منها. والآن بات متأكداً أن بإمكانه وضع تلك القنبلة في مكانها.

ساهمت التجارب التي أجراها يوسف على القنابل في زيادة حدة حالة التوتر والقلق التي كانت تعاني منها البلاد أصلاً. وكانت الدولة - التي لم تكن

بعيدة عن الانفجار من الداخل - تبدو وكأنها على وشك خسارة المعركة الطويلة في الولايات الجنوبية في ظل تنامي قوة الجماعات الانفصالية الإسلامية المسلحة. فالمقاومة من هذا الشكل أو ذاك كانت مستمرة في الجنوب على مدار العقود الماضية. إلا أن هذا الشكل الأخير منها هو الأكثر قتلاً وإصراراً. وقد فرغت قوات الشرطة الوطنية لتوها من إكمال دليل يحتوي على 128 صفحة، أدرج فيه جدول بالعمليات الإرهابية التي وقعت خلال الاثني عشر شهراً الماضية. وقد كانت تلك السنة سنة فظيعة بكل المعايير. أكثر من خمسين هجوماً نتج عنها 101 قتيل، ومن أبرز أهداف هذه العمليات قساوسة الكنيسة الكاثوليكية[44].

كانت هناك مخاوف في أوساط أجهزة الاستخبارات من أن الانفصاليين قد يستخدمون زيارة البابا كمسرح لجلب الاهتمام الدولي لقضيتهم[45]. وخشي بعض المحللين أن يكون في حسبانهم أكثر من مجرد التظاهر، وربما تصل إلى درجة الهجوم على شخص البابا؛ لذلك بادرت الأجهزة الأمنية بالقيام بعملية سانتو بابا للتحقيق[46]. إلا أن أهمية هذه المسألة تراجعت إلى الوراء بعد أن ضرب الإعصار الاستوائي البلاد منتصف ديسمبر/ كانون أول، مقتلعاً أشجار النخيل، والمنازل، وأسلاك الكهرباء.

لم يكن هناك أي إشارة تدل على أن البلاد كانت على دراية بما يجري على أراضيها. فقد كان الكل منشغلاً باحتفالات عيد الميلاد. وتولي الفلبين، التي كانت مستعمرة إسبانية لمدة تزيد على الثلاثمائة عام وبقيت أكبر دولة كاثوليكية في آسيا، عناية خاصة بالاحتفال بالأعياد الكاثوليكية. وفي السنوات العادية، يعامل عيد الميلاد على أنه فترة مطولة للاحتفالات التي لا مناص منها، ومتنفساً للحياة اليومية الشاقة. ويبدأ الناس بشراء الهدايا في الصيف؛ ويشرعون في تعليق أضواء ومصابيح عيد الميلاد في سبتمبر/ أيلول، وهو

الوقت الذي تبدأ فيه محطات الإذاعة ببث الأغاني الخاصة بعيد الميلاد. أما قدّاس منتصف الليل الذي يقام عشية عيد الميلاد في مختلف أنحاء العالم. فإنه يقام في الفلبين لعدة أسابيع حتى حلول العيد. وفي هذه الدولة المحددة بفقرها، يعتبر موسم الأعياد مناسبة للبذخ والإنفاق، ويعامل على هذا الأساس.

كان الوقت مناسباً بالنسبة لمفجري القنابل. رحل شاه وسانتياغو من شقتهما في جوزيفا وحل محلهما يوسف الذي استأجر غرفة مشابهة في الطابق الرابع تطل مباشرة على شارع برزدنت كويرينو. وبدأ بجمع المواد اللازمة لبناء أسلحته. وكان بحوزته إثباتات هوية مزورة تفيد بأنه كيميائي إنجليزي، وكان يستخدمها لدى ذهابه لشراء المواد من موردي المواد الكيماوية. وبعد مرور عدة أسابيع، تحوّل يوسف إلى السرّية التامة في تحركاته لدرجة أنه توقف عن السماح لعامل البناية بالدخول إلى حجرته لتغيير الملاءات. ونقل هو وشاه عدداً كبيراً من الصناديق والقوارير عبر مدخل البناية، الأمر دفع موظفي البناية إلى التساؤل عما في نية هذين الشخصين. وتعتبر مانيلا، في أفضل أيامها، حماماً ساخناً، مكاناً يبللك بالرطوبة خلال خمس دقائق، وتغرقك في الخمس التالية. وفي هذه الحرارة القاتلة ووفرة اليد العاملة الرخيصة، فإن الزوار لا يرغبون في بذل أي جهد إذا كان في مقدورهم تجنب ذلك؛ لذلك، وعندما يقوم مستأجرو الغرفة رقم 603 الذين يعتقد موظفو البناية أنهم من العرب – وهم من فئة الزوّار الأقل ميلاً لبذل الجهد الجسدي من غيرهم – بحمل الصناديق والقوارير بأنفسهم دون الاستعانة بأحد، ويمرون بها أمام مدخل البناية، فإن فعلهم هذا أثار حفيظة الموظفين التي لا تثار في العادة في الأوقات العادية. فجوزيفا لم تكن بالمكان الذي يعاين فيه الناس القادم والخارج من الزوار الغرباء. والمدينة كانت على مر العقود محطة معتادة في دائرة السياحة الجنسية لأثرياء شرق آسيا والأمريكان وأغنياء النفط من عرب الشرق الأوسط، كما كانت جوزيفا في أقصى جنوب إرميتا، إحدى

مقاطعات الترفيه الليلية في المدينة. وفي الأوقات العادية تمتلئ غرفها بالرجال ذوي القدرات والرغبات المتواضعة.

لم يكن هؤلاء العرب يقومون بمجهود جسدي، على ندرته، بل إنك إذا دققت النظر، فإن من الصعب أن لا تلاحظ عليهم علامات الشدة والصدمات. كان خان يفقد ثلاثة من أصابع يده نتجية حروب أفغانستان؛ وكانت أيدي يوسف ووجهه مشوهة بالحروق، إضافة إلى الإصابة في عينه. (لم يعلم الموظفون سوى القليل: كان جسم شاه كله مصاباً، وكانت آثار الحروق على قدمه وظهره).

ومع كل التوتر حول القدوم المرتقب للبابا، لم يمض وقت طويل قبل قيام شخص بتحذير المسؤول الأمني في البناية أبولينارو ميدينيلا بأن شيئاً ما يحدث في جوزيفا. وقام ميدينيلا بدوره بإخطار الشرطة المحلية عن الأشخاص المشتبه بهم. إلا أنه كان هناك القليل الذي يمكن للشرطة فعله. ويقول عمدة مانيلا خوسيه أتينزا الأصغر في هذا الخصوص: " كان هناك شيء كاف لإثارة الشك، ولكنه لم يكن كافياً للتحرك واتخاذ أي إجراء ضدهم"[(47)].

تابع المتآمرون تحضيراتهم دون أن يكون لديهم أدنى فكرة أن شخصاً ما لاحظهم. وفي الحادي والعشرين من ديسمبر/ كانون أول، جمعوا أصدقاءهم للاحتفال بذكرى تفجير طائرة بان آم 103 التي فجرها عملاء ليبيون فوق لوكربي في اسكتلندا وراح ضحيتها 256 شخصاً قبل ستة أعوام. وبالتأكيد كان ذلك الاحتفال الوحيد بهذه الحادثة في مانيلا تلك الليلة[(48)].

حضر مراد في اليوم التالي لعيد الميلاد، بحسب تعليمات يوسف، وحجز غرفة في الفندق المجاور لوس بالموس. واستخدم اسماً مختلفاً أعطاه إياه يوسف، متظاهراً بأنه لا يعرف يوسف الذي كان ينتظر في صالة الاستقبال. وذهب إلى غرفته ثم تبعه يوسف بعد دقائق. وأحضر مراد معه، كما طلب منه،

عدة أصباغ للشعر ماركة لورييل بدرجات مختلفة من الألوان. فقد أراد يوسف من المجموعة أن تغير مظهرها. ولاحظ مراد أن يوسف قد بدأ بالفعل بتغيير مظهره. ولأول مرة منذ عدة سنوات، ظهر يوسف وهو حالق اللحية والشارب. وخلال دقائق تغيّر مظهر مراد كذلك. وأقام الاثنان في لوس بالموس لمدة يومين ثم ذهب مراد ليقيم مع يوسف في جوزيفا. لم يفاجأ مراد بما شاهده من المواد المستخدمة في صنع المتفجرات بقدر مفاجأته عندما رأى الرجل الذي عرفه باسم عبدالمجيد منذ سنوات سابقة في كراتشي، خالد شيخ محمد. ذهب يوسف ومراد لشراء آخر ما يحتاجانه وبدءا بصنع القنابل. وكانا في الوقت نفسه يتابعان الخطة ضد البابا، وقاما بشراء ملابس قساوسة وأناجيل وصلبان لاستخدامها في التخفي. وكان خالد شيخ محمد يستخدم القفازات في كل مرة يأتي فيها إلى الشقة بحجة أنه يخشى المواد الكيماوية. ويبدو أيضاً أنه كان حريصاً على عدم ترك أي بصمة له في المكان. وهو ما نجح فيه فعلاً؛ لا أحد يعرف اسمه الحقيقي باستثناء يوسف، ويبدو أنه يستخدم اسماً مختلفاً لكل شخص يلاقيه. لم يكن يجازف بأي مغامرة.

ومع اقتراب نهاية العام، غادر يوسف وخالد شيخ محمد، وتركا مراداً في جوزيفا وأعطياه تعليمات لمتابعة بناء القنابل - وذهبا - بحسب ما قالا له - لأخذ دروس في كيفية الغوص في أعماق البحر في منتجع سياحي قرب المكان. عاد يوسف وحده في الأول من يناير/ كانون ثاني. ولم يشاهد مراد خالد شيخ محمد مرة أخرى بعدها. وأمضى مع يوسف عدة أيام في صنع القنابل والمتفجرات. وقال يوسف لمراد بأن يجهز نفسه للسفر إلى سنغافورة لكي يبدأ من هناك مهمته التفجيرية في الرابع والعشرين من يناير/ كانون ثاني. لم يذكر يوسف شيئاً عن وجود خطط لأربعة أشخاص آخرين لوضع المتفجرات على متن عشر طائرات أخرى(49).

وضع الاثنان نسقاً معيناً: كانا يتأخران في النوم حتى الظهيرة، فيتناولان الغداء؛ ثم يتوقفان في مركز التسوق؛ وربما تمشيا بمحاذاة الماء. وفي المساء، كانا يشاهدان محطة السي إن إن ويتحدثان عن الظروف التعيسة للأمة الإسلامية. ويستأنفان صنع القنابل. وكان السادس من يناير/ كانون الثاني يوماً عادياً بالنسبة لهما حتى حلول المساء. وبينما كان يوسف يحاول التخلص من بعض المواد الكيماوية الزائدة عن حاجته عن طريق حرقها في مقلاة فوق طباخ الغاز، حدث خطأ ما وظهرت سحابة كثيفة من الدخان تخللت كامل الغرفة. سارع الاثنان بفتح الشبابيك، ولكن ذلك لم يكن كافياً، فخرجا من الغرفة إلى الممر. وفي هذا الوقت لاحظ الجيران الدخان المنبعث من الغرفة فاستفسروا عن الأمر. وحاول يوسف أن يوضح لهم بأنه كان يحاول صنع بعض الألعاب النارية للاحتفال برأس السنة. وجاء رجال الإطفاء، وعاينوا المكان ثم انصرفوا. وجاء شرطي، فراوغه يوسف وتملص من المكان، وبقي مراد الذي أجاب عن الأسئلة التي وجهها إليه، ثم انصرف هو الآخر.

كانت الأمور تبدو هادئة إلى أن انطلقت صفارة إنذار الحريق مرة أخرى[50]. وفي هذه المرة، سارعت الشرطة ورجال الإطفاء إلى المكان. ودخلوا الغرفة رقم 603 ليجدوا حلة محروقة على طباخ الغاز. كما وجدوا المكان مليئاً بالأقماع والقوارير والدوارق، ولفافات القطن، وعلب البنزين، ووجدوا في الثلاجة، قارورتين كبيرتين لعصير العنب ماركة ويلتشز ولكنهما معبأتان بمادة – ظهر فيما بعد – أنها نايتروغليسيرين[51]. أغلقت الشرطة المكان وذهبت لإحضار مذكرة تفتيش. وجدت الشرطة التي كانت لا ترغب في الكشف عن دخولها غير المشروع إلى الغرفة، صعوبة في الحصول على مذكرة بتفتيش المكان. رفض أحد عشر قاضياً طلب الشرطة، إلا أن القاضي الثاني عشر وقع على المذكرة، وتوجهت الشرطة إلى جوزيفا.

أمضت الشرطة بقية المساء ومعظم اليوم التالي في التفتيش بين الأدلة التي ملأت ثلاث حافلات. وقبل الانتهاء من عملية البحث، انضم إلى فريق الشرطة ضابطان برتبة فريق، وآخر برتبة لواء، ورائد، ونقيب، وملازم، إضافة إلى عشرات الأفراد من الشرطة والجيش. وكان من بين المواد التي صودرت من الشقة: ملابس قساوسة، وأناجيل، وصلبان، وعلبتان من الواقيات المستخدمة في الاتصال الجنسي، وخريطة تبين مسار زيارة البابا، وكتب كيمياء، ومواد كيماوية، وغالونات من الأحماض والنترات، وقنبلة اسطوانية جاهزة، وأخرى تنتظر التعبئة؛ أصابع لحام حديدية، كبسات، ومبدلات، وأسلاك كهربائية؛ دزينة جوازات سفر، ودزينة أخرى من ساعات كاسيو داتابانك[52].

بعد أن أنهى مراد الإجابة عن أسئلة الشرطة في الحادثة الأولى، اتصل بهاتف يوسف الجوّال، وطلب منه يوسف أن يحضر إلى محل سفن إليفين الواقع على شارع مابيني. وعندما وصل مراد، كان يقف إلى جانبه رجل من كراتشي هو والي شاه، وكان مراد يعرفه باسم أسامة آسموراي، ولم يشاهده منذ صيف 1993. وذهب الثلاثة إلى إحدى الخمارات لتقرير ما ينبغي فعله. وكان أكثر ما أشغل بال يوسف هو مصير حاسوبه المحمول. وافق مراد على الذهاب إلى الغرفة لإحضاره. وعندما عاد إلى البناية، شاهد الشرطة تنتظر في صالة استقبال جوزيفا. فتوقف قليلاً، ورآه أحد حراس البناية فناده. حاول مراد الهرب جرياً على قدميه إلا أنه تعثر ووقع وتم الإمساك به. وكانت هذه هي النهاية. وألقي القبض على شاه في اليوم التالي عندما كان خارجاً من شقة خليلته. بينما تمشى يوسف بقية الليل وسافر إلى تايلاند بالطائرة، ومن هناك توجه إلى باكستان. ولم تعد مساهماته سراً بعد اليوم. ففي محاولة مراد اليائسة للنجاة بنفسه، توسّل إلى المحققين لسماع ما كان يعرف عن

تفجير برج التجارة العالمي الأول. يقول رودلفو "بوغي" ميندوزا كبير المحققين: "كان القبض على مراد بحكم اكتشاف منجم للذهب... وهددناه بأننا سنقوم بتسليمه إلى جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الموساد. قلت له ليس لديك شيء لتقوله لي، ولكن ربما كانت الموساد مهتمة بما ستقول".

وقال له ميندوزا: "إنك شخص تافه وحقير في نظري"، ويتابع ميندوزا " أصر مراد بأنه شخص مهم، وقال - أرجوك استمع إلي، لقد كنت متورطاً في تفجيرات برج التجارة العالمي وأنا أعرف رمزي يوسف - (53)".

هذه الاعترافات، والتي أوضحت التسجيلات الصوتية لها فيما بعد أنها تمت تحت تأثير درجة من الإكراه أكبر مما ذكره ميندوزا - فقد كان يضع خرطوم الماء في فم مراد ويكرهه على ابتلاع الماء في جوفه. وكان هذا العمل من الناحية الفعلية كإغراقه بالماء وهو جالس على الكرسي في غرفة التحقيق. ولكن هذه الاعترافات لم تنقذ مراداً من ورطته. وبعد عدة أسابيع، وبعد أن استنفد ميندوزا كل ما يمكن أن يحصل عليه من المعلومات من مراد، بما في ذلك اعترافه بأنه اقترح اختطاف طائرات لصدمها بمقر قيادة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA، قام ميندوزا بتسليم مراد والمعلومات التي حصل عليها منه إلى الأمريكان. وتلت ذلك عمليات تعقب وبحث حول العالم عن يوسف. وخلال أشهر، تمت معرفة مكان إقامة يوسف بعد أن وشى به أحد الأشخاص الذين كان يحاول تجنيدهم لمؤامرة جديدة - فقد كان الرجل عنيداً في إصراره. وتم القبض عليه في عملية مداهمة قامت بها قوات الأمن الباكستانية، بينما كان أفراد الاستخبارات الأمريكية يتابعون الوضع من فندق صغير في إسلام أباد العاصمة الباكستانية. أما شاه الذي استطاع الإفلات من السجون الفلبينية عن طريق الرشوة بعد ثلاثة أيام من القبض عليه، فتم القبض عليه مرة أخرى بعد سبعة أشهر في جزيرة سياحية في

ماليزيا حيث وفّر له حنبلي مكاناً للاختباء فيه. وبهذا بقي شخص واحد من مخططي عمليات مانيلا طليقاً: هو خالد شيخ محمد. تتبع المحققون الإشارات والدلائل التي وصلت إليهم عن مكان وجوده حول العالم، إلا أنهم عجزوا عن تحديد مكانه أو حتى شخصيته. وحتى تلك اللحظة، لم يكن لديهم سوى القليل من المعلومات عن الرجل. كما لم يعرفوا أنه هو عندما كانوا قاب قوسين أو أدنى من الإمساك به. فكم كانوا يجهلون عن هذا الشخص؟

وعندما اقتحمت عناصر الأمن الباكستانية ورجال الاستخبارات الأمريكية أحد الفنادق في إسلام أباد في فبراير/ شباط من عام 1995، واقتادوا يوسف الذي كان يصرخ ويرفس، كان المنظر مخيفاً بحسب ما ذكره أحد نزلاء الفندق.

"كان الموقف أشبه ما يكون بالإعصار، والهلع الكبير"، كما يذكر ذلك النزيل للصحفيين. "كان يوسف يصرخ: لماذا تأخذونني؟ إنني بريء! أروني أوراقاً رسمية إذا أردتم اعتقالي: من أنتم؟ ولم يصغ إليه أحد. لقد ساقوه وهو حافي القدمين، معصوب العينين، مغطى الرأس، وكان مقيد اليدين والرجلين"(54).

هذا الرجل الذي أعطى هذه الإفادة، كان مسجلاً في الفندق بصفته رجل أعمال من كراتشي اسمه خالد شيخ. وكما تبين للسلطات الأمريكية فيما بعد، أن هذا الرجل هو خالد شيخ محمد، مختبئاً أمام أعين الجميع.

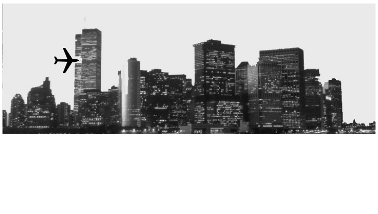

obeikan.com